أحداث ومشاهير عالمية



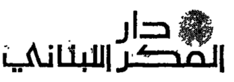
الدكتور علي شعيب



أحداث ومشاهير عالمية



الدكتور علي شعيب



كورنيش المزرعة - تجاه غلوب تبنك
هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٣٩٢
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLB 23648 LE - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٢

مقدمة

بعد الحرب العالمية الأولى جرت تطورات وأحداث في إيطاليا ، وليست أهمية الأحداث أنها وقعت في إيطاليا ، ولكن في أنها نوع جديد من أنواع الصراع في العالم كله ، وخصوصاً لأن أهميتها تتجاوز إيطاليا إلى خارج حدودها . ولذلك كان تخصيص هذا البحث عن موسوليني أحد الشخصيات البارزة في عصرنا هذا، وعن ظهور الفاشية في إيطاليا. كان موسوليني الظاهرة الرمز للفاشية في بلده والعالم والمحرك الأساسي لأحداث إيطاليا وأوروبا آنذاك . ففي أيام الفاشية الأولى وجد البعض من الإيطاليين ممن أشادوا بهذه الحركة التي جلبت إلى حياة إيطاليا السياسية شعوراً بالعظمة والمجد اللذين كانا لبلادهما في عصر الإمبراطورية الرومانية الغابر ، وذلك رغم قسوة أساليب الفاشية وعنف طرقها . فإن نبوغ الدوتشي الباهر ونشاطه انتقلا إلى كل قسم من أقسام الدولة . فأصبح كل فرع من فروع الحكومة يطالب بمستوى جديد من الكفاية والنشاط . فانتظمت مواعيد القطارات ، وأنزل القصاص الشديد بالموظفين غير النزهاء ، وبوشرت أعمال عامة

ضخمة ، فوجه الاهتمام بإعادة تنظيم روما وتجميلها وتعمير الأقاليم الجنوبية التي كانت مرتعاً للملاريا .

إذن استقبلت تدريجياً بالتبجيل والإعجاب الفاشستية التي كان ينظر إليها في مبدأ ظهورها كحلم ثوري عنيف لرجل مفتون . فلم تكن نظاماً سياسياً فحسب ، بل كانت مبدأ وديناً .

وعملت أخلاق الزعيم الفذة والطريقة التي أفلح بها في تقويم خور الأمة الإيطالية وترددها وقنوطها ، وفي استخدامه جميع المناقب الحربية التي تعلمها من دروس الحرب الأولى ، وفي براعته في اذكاء الحماس في نفوس الجماهير وإثارة حميتها وتوليد ثقتها ، وفي نجاحه في التغلب على اضطرابات العمال عملت كل هذه الأمور على إثارة إعجاب الأقطار الأخرى بالفاشية وتقديرها ، وأدت إلى تأليف جماعات أو أحزاب فاشستية في تلك الأقطار وفي مقدمتها الحركة النازية في ألمانيا بزعامة ادولف هتلر .

هذا البحث يقودنا للتعرف على موسوليني ودوره في الإعداد للحرب الثانية عبر طرح سياسي جديد لم تشهده البشرية من قبل في فنون التعصب القومي والتسلط على عقول الناس .

الفصل الأول

ظروف تسريع ظهور موسوليني

لم تتمخض الحرب العالمية الأولى عن زيادة أملاك إيطاليا في الشرق الأدنى . كما كانت مكاسب إيطاليا في أفريقيا قليلة تقتصر على توسيع لا قيمة لها لحدود ليبيا والصومال الإيطالي . وحين نقارن مكاسب إيطاليا بالمناطق الشاسعة التي حصلت عليها بريطانيا وفرنسا في الشرق الأدنى وأفريقيا نجدها ضئيلة . ومن هنا شعرت إيطاليا بأنها قد خدعت ولحقت بها الإهانة فكان ذلك من الأسباب التي دفعتها وهي دولة خرجت صفر اليدين في مجال الاستعمار إلى محاولة تغيير الأوضاع القائمة في البحر المتوسط .

وكانت تطلعات الشعب الإيطالي إلى مكاسب بلاده في الحرب بعيدة جداً . وكانت ذكريات الإمبراطورية الرومانية وعظمتها أقوى من أن يكتشف الإيطاليين حينذاك حقيقة قدراتهم إزاء تلك الدول الكبرى الأخرى المنتصرة .

هزىء الفرنسيون من الإيطاليين خلال مؤتمر الصلح عندما طالبوا بمستعمرات جديدة تضاف إليهم . ولهذا خرج

الإيطاليون في مؤتمر الصلح ومن معاهدة فرساي دون أن يحققوا أهدافهم التوسعية وعبّر موسوليني عن ذلك بقوله :

« لقد خرجت إيطاليا من الوليمة الاستعمارية الفاخرة خاوية الوفاض إذا قيس بما حصلت عليه كل من فرنسا وبريطانيا من مستعمرات كثيرة على حساب الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية . وكانت لإيطاليا أطماع واسعة في كل أملاك هاتين الدولتين » .

وجاءت تسوية ممتلكات الدولة العثمانية واقتسامها بين الدول الحليفة لتزيد من مرارة الفشل الإيطالي ، فقد أثار الوفد الإيطالي لدى مؤتمر الصلح العلاقات التاريخية التي تربط إيطاليا بالعالم الإسلامي وممتلكات إيطاليا الإسلامية في ليبيا وعلى البحر الأحمر واهتمامها الخاص بالمنطقة العربية لتبرر أطماعها فيها قبل عملها التبشيري في المنطقة وإقامة الكثير من مواطنيها فيها ، ونشاطها الإقتصادي في منطقة الأناضول . غير أن بريطانيا دعمت الحكومة اليونانية في وقوفها أمام الأطماع الإيطالية في الأناضول .

لم يبد الوفد الإيطالي رأياً في مسألة تجزئة المشرق العربي باستثناء بعض التحفظات على الأماكن المقدسة في فلسطين . ووقف « اورلاندو » موقف المتفرج من المباحثات التي دارت بين الدول المنتصرة في باريس سنة ١٩١٩ حول المسألة العربية .

رمت نتائج الحرب الأولى بثقلها على الوضع الداخلي الإيطالي . فقد كانت إيطاليا تعاني من ازدياد البطالة والتضخم في ذلك الوقت . كما جاءت قرارات مؤتمر الصلح في فرساي لغير مصلحتها لأنها كانت تأمل من تعويضات مالية ومستعمرات جديدة تضم إلى ممتلكاتها ، مما أثر سلباً على التطورات الداخلية في البلاد ودفع بها نحو الفوضى .

لقد عانت إيطاليا من نقص شديد في الفحم والحديد وارتفعت الأسعار بشكل جنوني وقلت الكميات المعروضة من المواد الغذائية . ووقع الضرر أكثر ما وقع على الفئات محدودة الدخل وخاصة العمال الذين كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً لمشاكل الغلاء وللتوجيهات الدعائية التي كان يطلقها دعاة الإصلاح من الاشتراكين الإيطالين . ومما ضاعف من متاعب ما بعد الحرب الخسائر البشرية الكبيرة التي منيت بها الشعوب المقاتلة في عدد الشباب العامل الذين سقطوا في ميادين الحرب . بينما أدركت أوروبا حينذاك بحاجة إلى مزيد من الأيدي العاملة لإصلاح ما تخرب من الأراضي الزراعية لقد كانت آثار الركود اقتصادية . وإذا كفت الشركات الأميركية عن شراء المواد الخام ازدادت تلك البلاد فقراً . وبما أن منتجي المواد الخام لم يستطيعوا استيراد البضائع الجاهزة فقد تضررت أيضاً البلاد الصناعية التي تملك المصانع وخطوط الشحن وانتشرت البطالة في أوروبا .

كانت القوى السياسية الداخلية الإيطالية المتمردة على الحكومة عديدة وقوية . وكان طبيعياً إزاء هذا الضعف من جانب الحكومة أن تندلع الاضطرابات والتمردات وخاصة في الأوساط العمالية المتأثرة بالأفكار الاشتراكية وبالاتجاهات اليسارية . فتعددت الإضرابات في سنة ١٩١٩ وفي سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٢ . بل بلغ الأمر بالعمال أن احتلوا المعامل ، بينما احتل العمال الزراعيون في بعض الأماكن الأملاك الزراعية . وكانت الأحزاب الإيطالية نفسها عاجزة عن خلق نوع من الدولة القوية أو الزعامة القادرة على الارتفاع إلى مستوى القيادة الوطنية .

في ظل هذه الأوضاع اتسمت سياسة الحكومات الاشتراكية التي سبقت وصول موسوليني إلى السلطة بالانكفاء على التراث ، وفضلت التفاوض مع الدول الكبرى وانتهاج سياسة الانفتاح والتعاون مع القوى الوطنية في مستعمراتها العربية (ليبيا ـ الصومال ـ وارتريه) . ففي ١٢ أيلول ١٩١٩ أُبرمت اتفاقية مع فرنسا حول الحدود الليبية ـ التونسية الجزائرية حصلت بموجبها على بعض الواحات مثل براك والمنطقة التي تفصل المرتفعات الليبية إلى الغرب من خط غاب غرامس ونصت الاتفاقية على أن تتمتع المدارس الإيطالية الخاصة في تونس بالنظام نفسه الذي تتمتع به المدارس الفرنسية الخاصة . وأبرمت إيطاليا اتفاقية مماثلة مع بريطانيا في ١٥

أيلول سنة ١٩١٩ (اتفاقية فلترتيتوني) حول تعديل الحدود مع برقة ومصر . غير أن تنفيذ هذه الاتفاقية تأجل لعدة سنوات . في هذا الوقت غدا في إيطاليا اسم لنين محبوباً بين الجماهير ، ووزعت صورة هذا المبعوث الروسي في كل مكان . وسخر الناس بجنود الحرب القدامى في الشوارع .

ولما كان البرلمان الإيطالي ينتخب بطريقة التمثيل النسبي ، تعددت الأحزاب الإيطالية وكثرت ، وضعفت الوزارات . وكانت الخطابة حرة ، والمناقشات طليقة من جميع القيود . ولكن لم يكن ثمة شيء في حكومة البلاد يلهب الوطنية في النفوس ، وتلتف حوله الآراء . وكان كثير من زعماء البلاد البرلمانيين على جانب كبير من المقدرة والجدارة والنزاهة . ولكن شطراً وافراً من النشاط الذي كان ينبغي أن يخصص لبحث المسائل القومية الكبرى ، ضُيّع سدى في سفسطات مجدبة ، ومناقشات عقيمة ، ومناورات لا تنقطع لتحسين المراكز الشخصية واعتلاء كراسي الحكم .

فهذا التثبت الجلي للقوى القومية ، وهذا الشلل للجهود الوطنية ، يوضحان بروز بنيتو موسوليني وتألق نجمه السريع في سماء إيطاليا .

الفصل الثاني

دور الحزب الفاشي في الحياة السياسية الإيطالية

شخصية موسوليني :

ولد بنيتو موسوليني في ٢٩ تموز ١٨٨٣ . وكان أبوه حداداً معدماً يقطن في Forli ويؤمن بالمباديء الاشتراكية، مما جعل موسوليني نفسه يشب وفي ذهنه كثير من الأفكار الاشتراكية . وكانت أمه معلمة ، وكانت بطبيعتها مفكرة وديعة تميل إلى الصمت والعزلة . وعندما بلغ بنيتو الثامن عشرة مارس مهنة التدريس ، ولكنه سئمها بعد قليل . وسافر إلى سويسر حيث اشتغل في ورش البناء . ولما كان مهيجاً للعمال طرد من أكثر من عدة مقاطعات سويسرية بسبب دعايته الثورية وألقي به مراراً في غياهب السجون . ثم خرج من سويسر هائماً على وجهه حتى وصل إلى باريس وأقام فيها قليلاً ، ولكنه طرد منها لتشرده . فرجع إلى بلاده في الحادية والعشرين من العمر خاوي الوفاض ، ثائراً على النظم القائمة . وكان يهاجم الزعماء الاشتراكيين المعتدلين لشدة اعتدالهم ، ويدعو علناً إلى استخدام القنابل وشتى وسائل العنف ضد الدولة . ثم اضطر إلى الانخراط في سلك الجندية لقضاء مدة الخدمة

العسكرية . وبعد خروجه أخذ يشتغل في الصحافة ، وعارض دخول إيطاليا الحرب سنة ١٩١١ ضد تركيا لتملك ليبيا . وألقي في السجن عدة مرات بسبب استخدامه وسائل عنيفة في معارضتها ، مثل تحريض العمال على تخريب السكك الحديدية لمنع إرسال الجنود والمؤن . وقد اشتد في حملاته على الزعماء الاشتراكيين لتأييدهم هذه الحرب حتى نجح في إقناع الحزب بطردهم من حظيرته ، وأصبح هو رئيس تحرير الجريدة اليومية الاشتراكية الكبرى « افانتي » التي كانت تصدر في ميلان ، ومضى يكتب فيها داعياً العمال إلى مقابلة العنف بالعنف وهي دعوة كانت تقابل بالمعارضة الشديدة من الزعماء الماركسيين المعتدلين .

ففي صيف عام ١٩١٤ ، نشبت الحرب بين روسيا وألمانيا ، وأخذ أعضاء الريشتاغ الاشتراكيون يصدقون على الاعتمادات الحربية التي طلبتها حكومتهم . فأدرك موسوليني على الفور معنى ذلك وعرف أن في ساعات الأمم الحرجة يؤثر المرء وطنه على كل شيء . فإن الاشتراكيين الألمان لم يحتجوا حتى على انتهاك بلادهم أرض البلجيك ، فرأى أنه ليس حرياً به أن يكون أشد اشتراكية من قادته الاشتراكيين الألمان . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى ظل موسوليني لبضعة أشهر يعارض اشتراك إيطاليا في الحرب ويدعو إلى الحياد ولكنه فجأة غير آراءه جميعاً، وبدأ يدعو إلى الانضمام إلى

الحلفاء وترك الجريدة الاشتراكية ، وأصدر جريدة يدعو فيها إلى سياسته الجديدة ، فطرده الحزب الاشتراكي من صفوفه ، وبعد قليل تطوع في الحرب كجندي عادي وحارب في الجبهة الإيطالية حتى سقط جريحاً . ولما انتهت الحرب الأولى لم يعد موسوليني يسمي نفسه اشتراكياً . أصبح شخصاً مائعاً لا يتقيد بمبدأ معين ، لا يحبه الاشتراكيون ، ولا صلة له قط بالعمال . وبدأ يهاجم الاشتراكية بل والدولة البورجوازية أيضاً . هاجم كل أشكال الدولة وسمى نفسه « فردياً » وأخذ يدعو إلى الفوضوية . وكتب عن ذلك عدة مقالات صريحة . لذلك برز موسوليني كزعيم مغامر من مغامري الحرب ، يبيع نفسه لأي قوى سياسية ، رجل متأهب ناري المزاج جلي الفكر لا يتورع عن ارتكاب أي عنف أو قسوة ، وأستاذ مطبوع على حياكة المؤامرات .

انتشار الحزب الفاشي :

كان أول عمل أقدم عليه موسوليني إعلانه عن تأسيس حزب في آذار ١٩١٩ من الجنود المسرحين ليحقق أهدافه ، ودعاه الحزب الفاشستي .

كان موسوليني يطمح إلى تكوين حزب يسوده النظام الدقيق ، وتشيع فيه الحيوية ، ويعيش عيشة الخشونة الاسبرطية ، ويرنو إلى القبض يوماً من الأيام على مقاليد الأمور .

انضم إلى الحزب في أول الأمر عدد من الجنود المسرحين من الجيش بلا عمل في أعقاب توقف الحرب العالمية الأولى . وبدأت تنمو قوائم اتباع الحزب في مختلف المدن الإيطالية حتى أصبحت له في كل مدينة (رابطة) قوية قادرة على التحرك والقيام بأعمال واضحة رغم أنها كانت مجرد أقلية . واجتذب الحزب أعضاء كثيرين من البورجوازية لوجود تفاهم وأهداف مشتركة . فالبورجوازية تخشى نمو الفكر الشيوعي ، وفي نفس الوقت كان الحزب الفاشي بحاجة لهذه البورجوازية . فالفاشست باعتبار منشئهم جمهوريين ولكنهم وجدوا في « الملكية » أداة للنجاح فيما يرمون إليه . فأعرض موسوليني عن الفكرة الجمهورية ولولا ذلك لما تسنى له إنزال الضربة القاضية بالحكومة التي كانت حجر عشرة في سبيل تطبيق مبادئه . نما وانتشر حزب موسوليني الذي اتخذ له مقراً في الجريدة التي كان يصدرها في مدينة ميلان . ويسط الحزب نفوذه على الدهماء والأوشاب ونظمهم في فرق مقاتلة . إلى جانب هذا التنظيم الحربي استخدم موسوليني الدعاية والإرهاب لتحطيم الأحزاب المناهضة له . فكان رجال الحزب الذين ارتدوا قمصاناً سوداء ، مسلحين لا يتورعون عن مقاتلة المعارضين وخاصة الاشتراكيين والشيوعيين ويهاجمون الخصوم ويعبثون بممتلكاتهم وأحياناً يجبرونهم على تجرع زيت الخروع .

ولما لم تتدخل الحكومة الإيطالية لردع ممارسة محازبي موسوليني ، كثر عدوانهم وزادت جرأتهم ، وكثيراً ما كان العمال في المدن يشتبكون معهم في قتال عنيف ، ويتغلبون عليهم ، ولكن الزعماء الاشتراكيين قاوموا فكرة مقابلة العنف بالعنف ، ودعوا العمال إلى مقابلة الإرهاب الفاشي بالسلم والهدوء ، آملاً في أن تتعب الفاشية ، فتستريح وتريح ، ولكن الفرق الفاشية على العكس من ذلك أخذت تتزايد قوتها بفضل أموال الأغنياء وتفاضي الحكومة ، بينما فقد الرأي العام روح المقاومة التي كانت لديه ضد هذه الفرق الفاشية ، فلم يحاول فعلاً القيام بأي إضراب احتجاجاً على هذا العنف الفاشي .

وقد اتجه الفاشيون بزعامة موسوليني إلى الخلط بين دعوتين متعارضتين الأولى معاداة الاشتراكية والشيوعية مما ضمن لهم تأييد الطبقات الغنية ، والثانية أن موسوليني كان معروفاً في السابق بأنه اشتراكي ومهيج ثوري ، كما كان معروفاً بشعاراته المعادية للرأسمالية مما أعجب الطبقات الفقيرة . كما تعلم كثيراً من أساليب الشيوعيين في الإثارة والتهييج . وهكذا أصبحت الفاشية مزيجاً يمكن تفسيره بأكثر من معنى . فهي حركة رأسمالية تنادي بهتافات معادية للرأسمالية ، وتضم أناساً من كل لون . أما العمود الفقري لها فكان من الطبقة المتوسطة وخصوصاً الصغيرة منها . كذلك جذبت هذه الحركة العمال العاطلين عن العمل وغير المهرة الذين لم تنتظمهم النقابات

على مر الأيام . كما حدث عندما استطاع الفاشيون إرغام التجار بالقوة على تخفيض الأسعار فكسبوا بذلك عطف الطبقات الفقيرة ، وانضم إلى الحركة كل المغامرين . ومع ذلك فقد بقيت الفاشية حركة لا تمثل إلا أقلية من الناس . وهكذا بينما كان القادة الاشتراكيون يتشككون ويترددون ويتنازعون بينهم ، وتقع الانقسامات في حزبهم ، نمت قوة الفاشية ، وجذبت إلى صفوفها الجيش وقواده ، وقد كان مدهشاً حقاً أن يستطيع موسوليني أن يجمع في حزبه كل هذه المتناقضات وأن يقنع كل فئة بأن الحركة الفاشية إنما خلقت من أجلهم فقط . فالأغنياء يرون فيه المدافع عن أملاكهم ، واعتبروا كلماته وشعاراته المعادية للرأسمالية مجرد عبارات جوفاء لخداع الجماهير . والفقراء اعتقدوا أنها حركة ضد الرأسمالية وأن الباقي ضحك على ذقون الأغنياء . وهكذا مضى موسوليني في لعبته ، يتكلم يوماً للفقراء ويوماً آخر للأغنياء ، وإن كان في الحقيقة صنيعة للطبقة الغنية التي تموله والتي أرادت استخدامه لتحطيم قوة العمال والاشتراكية التي هددت مصالحهم مدة طويلة من الزمن .

قام موسوليني بتشكيلات الفاشيزم الأولى (فاشستي الحرب) في آذار ١٩١٨ في مدن بولونيا وبيزا وفلورنسا . واستطاع أن يثير حماس الأمة ويزيد من التفاف الناس حول دعوته لأن تكون إيطاليا وارثة الدولة الرومانية وتبني إمبراطورية

واسعة . وتعاون موسوليني لتحقيق أهدافه مع الجبهة القـومية اليمنية وأخذت أعداد الفاشستين في الازدياد مع تفشي البطالة بين العمال حتى بلغ عدد أعضائه ثلاثمائة وعشرين ألف عضو في شبـاط سنة ١٩٢٢ وأخـذوا يشكلون خطراً على الحكـومة الاشتراكية التي عجزت عن مجابهتهم .

واشتـد نشاط الأحـزاب المنـاوئـة للسلطة وعلى رأسهـا الحزب الفاشي بقيادة بنيتو موسوليني . وأفاد الحزب الفـاشي من الأوضاع الإقتصادية المتردية والفوضى الأمنيـة التي عمت البلاد . وشكل عصابات أخذت تتعاون مع بعض الضباط في الجيش وتهاجم مراكز الحزبين الاشتراكي والشيوعي والنقابات العمالية .

وأخيراً عرف موسوليني كيف يهيء الأمر للاستيلاء على السلطة . في ٣٠ تشـرين الأول عـام ١٩٢٢ زحفت الفـرق الفاشية يقودها جنرالات من الجيش على روما . وعندما أعلن رئيس الوزراء ، الذي صبر على أعمال الفاشيين مدة طويلة ، الأحكام العرفية ، غير أن هذا الإجراء جاء متأخراً جداً ، إذ أن الملك نفسـه كان قـد أصبـح في صف مـوسـوليني ، فـرفض التوقيع على قرار إعلان الأحكام العرفيـة وقبل استقـالة رئيس وزرائـه ودعا مـوسوليني ليشكـل الوزارة الجـديـدة . ووصـل الجيش الفـاشي إلى رومـا في نفس اليـوم الـذي وصـل فيـه موسوليني من ميلان بالقطار ليصبح رئيساً للوزارة .

انتصرت الفاشية إذن ، واستولى موسوليني على الحكم . ولكن ماذا كان هدفه وماذا كان برنامجه ، وماذا كانت سياسته ؟ إن الحركات الكبرى لا بد أن تقوم على أساس مذهبي جلي واضح ينمو ويتبلور حول مبادىء ثابتة وأهداف ينظمها برنامج محدد . غير أن الفاشية تنفرد بأنها ليست ذات مذهب معين تدين به أو مبدأ أو فلسفة تعتمد عليها ، اللهم إذا كان مجرد مقاومة الاشتراكية والحرية يمكن أن يكون فلسفة . لقد أعلن موسوليني في سنة ١٩٢٠ بعد عام واحد من تكوين المنظمات الفاشية « ان الفاشيين وإن كانوا غير مرتبطين بمبادىء معينة إلا أنهم يسعون باستمرار نحو هدف واحد ، إلا وهو رخاء الشعب الإيطالي ورفاهيته » .

وواضح ان هذا الهدف لا يعتبر أنه يمثل سياسة معينة ، إذ من السهل على أي واحد أن يقول أنه يسعى لرخاء الشعب ورفاهيته . لقد فضح موسوليني حقيقة نواياه في سنة ١٩٢٢ وقبل زحفه على روما بشهر واحد عندما قال « إن برنامجنا بسيط جداً : إننا نريد أن نحكم إيطاليا » .

وقد أوضح موسوليني الحقيقة مرة أخرى في مقال كتبه عن أصل الفاشية في دائرة المعارف الإيطالية « قال إنه لم تكن لديه خطط معينة للمستقبل عندما قرر الزحف على روما ، ولكنه قرر استغلال الأزمة السياسية للقيام بمغامرته متأثراً في ذلك بما تعلمه أيام كان اشتراكياً » .

وعلى الـرغم من تناقض الفـاشية والشيـوعية ، فـإنهمـا يشتركان في بعض النواحي ولكن قد لا يكون هناك شيئان أبعد عن بعضهمـا البعض بُعد الفـاشية عن الشيـوعيـة فيمـا يتعلق بالمذاهب والمبادىء .

الفـاشيـة وإن لـم يكن أي مبـدأ أو عقيـدة ، إلا أن لهـا أسلوبـاً أكيداً في العنف والإرهـاب وأنه من نـظرتها للتـاريـخ لا يمكن أن نعرفها على حقيقتها . أما رمزها فقد أخذوه من رمز قديم كان يحمله الأباطرة والقضاة الرومان القدامى وهـو عبارة عن حزمه من العصي (واسمها اللاتيني فاش ، ومن هنا جاءت كلمة الفاشية) وفي وسطها بلسطة . أمـا التنظيم الفـاشي فقد أخذ أيضاً من التشكيـلات الحربيـة في روما القـديمة . حتى الأسمـاء نفسها التس كـانت تستعمل في المـاضي . والسلام الفاشي هو نفس السلام الذي كان مستعملاً في روما القديمـة برفع الـذراع مبسوطـاً إلى الأمام . وهكـذا نرى أن الفـاشيين أخذوا ينظرون إلى الإمبراطورية الرومانية القديمة يستلهمـونها الوحي ، أي أن نظرتهم أصبحت استعمارية أو قد كان شعارهم « لا مناقشة ، بل طاعة فقط » ، وهو شعار قد يناسب الجيوش المحاربة ولكنه قطعاً لا يناسب الدول الديمقراطية . وكان اسم قـائدهم مـوسوليني و « الـدوتشي » وهي كلمـة إيـطاليـة تعني الديكتاتور ، وكان زيهم الرسمي عبارة عن قميص أسـود ومن أجل ذلك عرفوا باسم « ذوي القمصان السوداء » .

ولما كان برنامج الفاشية الوحيد هو الحصول على السلطة ، فقد تحقق لهم هذا البرنامج بمجرد أن عين موسوليني رئيساً للوزارة ، وبدأ بعد ذلك يدعم مركزه عن طريق تحطيم المعارضة وتدمير الخصوم . وقد استعمل العنف في التاريخ كثيراً ، ولكنه كان يستعمل دائماً مصحوباً بالأعذار والمبررات على اعتبار ضرورة مؤلمة . أما الفاشية فإنها لا تقف من هذا العنف موقف الاعتذار بل ان الفاشيين يدعون إلى العنف ويشيرون به علناً ويمارسونه بالرغم من عدم وجود أية مقاومة .

وتلا وصول موسوليني إلى السلطة تطور عجيب خارق . فإن الحزب الفاشي أخذ ينمو حتى احتوى الأمة الإيطالية بأسرها . وصار لا يحتمل في إيطاليا رأي غير رأي الزعيم . وألزمت الصحافة وأساتذة الجامعة والطبقة المثقفة بأن تسير وفق مبادىء الحزب الجديد . وكانت العقوبات التي تفرض لعدم الامتثال لأوامر الحزب ، هي جرعات زيت الخروع أو السجن أو النفي إلى أحد الجزر .

في سنة ١٩٢٣ لجأ موسوليني إلى إرهاب أعضاء البرلمان عن طريق الاعتداء عليهم بالضرب المبرح ، فأرغمهم بهذا الأسلوب على إقرار قانون انتخابي (قانون استيربو) الذي قسم إيطاليا إلى خمسة عشرة دائرة انتخابية . وأعلن أن الحزب الذي سيحصل في الانتخابات القادمة على أغلبية الأصوات

سيحصل على ثلثي كراسي البرلمان ، وكان الحزب الفائز هو حزب موسوليني .

بهذا أصبح موسوليني صاحب الأغلبية البرلمانية وأصبحت له بالتدرج سلطات واسعة يستطيع أن يمارسها في تنفيذ مشروعاته الداخلية والخارجية وبالتالي اتجه موسوليني إلى بناء الدولة الإيطالية الجديدة . وكان غريباً حقاً أن يستمر الفاشيون في أعمال العنف غير المشروعة حتى بعد أن أصبحوا في الحكم ، يسيطرون على البوليس وشتى أجهزة الدولة . ومع ذلك فهذا هو ما عملوه ، وبالطبع لم يجدوا من يعارضهم ما دام بوليس الدولة نفسه لا يعارضهم . لقد ارتكبوا جرائم القتل والتعذيب والضرب وتدمير الممتلكات في سنة ١٩٢٤ اهتزت أوروبا كلها لحادث اغتيال (جياكومو مايتوني) عضو البرلمان الإيطالي وأحد الزعماء الاشتراكيين الكبار . لقد وقف في البرلمان وهاجم الأساليب الفاشية التي استعملت خلال الانتخابات التي أجريت في ذلك الوقت . وبعد خطبته هذه بأيام قليلة تم اغتياله ، وحوكم القتلة محاكمة صورية انتهت بإطلاق سراحهم دون عقاب . كذلك مات زعيم من زعماء الأحرار اسمه « امندولان » نتيجة للضرب المبرح ، واستطاع رئيس وزارة سابق اسمه (نيتي) أن يفر من إيطاليا ولكن بيته هدم . هذه هي بعض الحوادث التي لفتت أنظار العالم ، ولكن بالرغم من ذلك فقد استمر الإرهاب وانتشر ، ولم يكن

الإرهاب هذا إلا ملحقاً للإرهـاب الذي كـان يدار بـالوسـائل الشرعية ، فلم يكن الإرهاب إرهاباً جماهيرياً بل إرهاباً حكومياً منظماً لم يقتصر على الشيوعيين أو الاشتراكيين وحدهـم ، بل شمـل أيضاً الأحـرار المعتدلين . كـانت تعليمات مـوسـوليني لاتباعه أن يجعلوا حياة المعارضـة صعبة أو (مستحيلة) وقـد طبق الأتباع هذه التعليمـات بأمـانة وإخـلاص . فيجب أن لا يوجد أي حزب في البلاد سوى الحزب الفـاشي ويجب أن لا تبقى أية منظمات إلا المنظمات الفاشية . كل شيء يجب أن يكون فاشياً ، وكل الوظائف يجب أن يشغلها فاشيون .

وهكذا أصبح موسوليني الحـاكم المطلق في إيـطاليا . فلم يكن رئيس الوزارة فحسب بل كان أيضاً وزيراً للخارجيـة والداخلية والمستعمرات والحرب والبحرية والطيران والعمل ! كان في الواقـع مجلس الوزراء نفسـه ، وانزوى الملك خلف الستـار ، وتحـطمت سلطة البـرلمـان شيئـاً فشيئـاً حتى صـار شبحاً . كان المجلس الفاشي الأعلى هو الذي يحكم الدولـة وكـان موسـوليني هو الـذي يحكم المجلس الفاشي الأعلى . ولقـد لفتت الأنـظار في أوروبـا الخـطب الأولى التي ألقـاهـا موسوليني عن السياسة الخارجية . كانت خطباً غريبة انفجارية تهـديديـة ، لا تمت بصلة إلى خطب السـاسة والـدبلوماسيين ورؤساء الدول الآخرين . كان يبدو دائماً متحدياً طالباً للنـزال كان يتحدث عن الإمبراطورية التي ستبنيها إيطاليا ، والطائرات

الإيطالية التي ستملأ الجو ، وكثيراً ما هدد جارته فرنسا بدون سبب . وكانت فرنسا وقتها أقوى بكثير جداً من إيطاليا ، ولكن أحداً لم يكن في فرنسا مستعداً للدخول في حرب ، ولهذا فقد أهملوا خطب موسوليني وتركوه يتكلم . وأصبحت عصبة الأمم هدفاً رئيسياً لهجوم موسوليني وتنديده واحتقاره ، وبالرغم من إيطاليا كانت عضواً فيها . ومع ذلك فقد سكتت العصبة والدول المشتركة فيها . وقد تغير الكثير من إيطاليا خلال هذه المدة ، وأصبح السائح يعجب بما يراه من مظاهر النظام في كل شيء وأصبحت روما من أجمل البلاد بما أدخل عليها من منشآت ، وبات حلم الإمبراطورية الرومانية يتهادى أمام عيني موسوليني .

كان موسوليني يرى أن الاستعمار سيحل لإيطاليا مشكلاتها وتكونت لديه هذه القناعة في فترة مبكرة وقبل استلام السلطة فقد كتب في مجلة الحزب (شعب إيطاليا) تاريخ ١ كانون الثاني ١٩١٩ « الاستعمار هو القانون الخالد والثابت للحياة » وأكد على هذا المبدأ في مقالاته وخطبه العديدة .

ومن جهة أخرى أكد موسوليني أمام مجلس النواب الإيطالي مراراً على حق إيطاليا في نقل الفائض من سكانها إلى مستعمرات جديدة . ورددت المجلة الفاشية « تيفير » في عددها الصادر في ١ نيسان ١٩٢٦ القول بأن الشعب الإيطالي متعطش للعظمة ومكره على حصر نفسه في حدود ضيقة »

لـذلك اهتمت الحكـومة الفـاشيـة منـذ وصـولهـا إلى السلطة بالمسألة الاستعمارية وتشكل في وزارة المستعمرات الإيطالية المكتب الخاص بالدراسات والدعاية في تشرين الأول ١٩٢٢ لـلإشـراف على الجمعيـات والمعـاهـدات ذات الأهـداف الاستعمارية والاشتراك في المعارض وتطوير المتاحف التي لها صلة بهـا . ونشر الـدراسات والكتب الخـاصة بـالاستعمار . وتعاون هذا المكتب مـع المعهد الاستعمـاري الفاشي الـذي اتسـع نشاطـه خارج إيـطاليـا وأصبحت لـه فـروع في تـونس وطرابلس وبنغازي والإسكندرية والدار البيضاء وليما وكراكاس ونيويورك وغيرها .

وفي سنة ١٩٢٩ عزز موسوليني موقفه الـداخلي عندمـا أنهى الخلاف بين البابا والحكومة الإيطالية باتفـاق الطرفين . وبعـد أن كان البـابا يـرفض الاعتراف بمـركز رومـا كعاصمـة للحكومة الإيطالية منذ إنشائها عام ١٨٧١ ، ولذلك فقد اعتاد البـابـوات عنـد انتخـابهم على الاعتكـاف في قصـرهـم في الفاتيكان حيث توجد كنيسة القديس بطرس وعدم الخروج منه كي لا تلمس أقـدامهم التـربـة الإيـطاليـة ، فسجنـوا أنفسهم باختيارهم .

وبموجب اتفاق سنة ١٩٢٩ اعترف بمنطقة الفاتيكان في روما كدولة مستقلة ، وأصبح البابا السلطان المطلق لهذه الدولة التي لا يتجـاوز عدد سكـانهـا الخمسمـائـة . ولهـذه الـدولـة

محاكمها وعملتها وطوابعها وخدماتها العامة كما أن لها أغلى سكة حديد في العالم . فلم يعد البابا بعد هذا الاتفاق سجيناً بل بدأ يخرج في بعض الأحيان . وقد أكسب هذا الاتفاق موسوليني سمعة حسنة بين الكاثوليك .

واستمر الإرهاب غير الشرعي لمدة سنة أو أكثر حتى سنة ١٩٢٦ ، عندما أصدر موسوليني في هذه السنة « قوانين استثنائية » أعطت الدولة سلطات واسعة للقضاء على المعارضة ، فأصبح الإرهاب غير الشرعي لا ضرورة له .

وفي ظل هذه القوانين الاستثنائية بقي الناس يسجنون ويعاقبون ويطردون من البلاد بأعداد كبيرة . وتقول الإحصاءات الرسمية إن عدد الذين حوكموا طبقاً لهذه القوانين في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٢٦ بلغ ١٠،٠٤٤ شخصاً وخصصت ثلاث جزر قريبة من إيطاليا لنفي غير المرغوب فيهم ، هي جزر بوانز وفنتولين وترميتي ، وكانت أحوال المعيشة فيها سيئة للغاية .

من جهة أخرى تناسى موسوليني في جسارة كبيرة ماضيه ، كيف أنه نظم اعتصاماً عاماً سنة ١٩١٤ وأعلن أن الاعتصامات والامتناع عن العمل محضورة .

وأصبحت كل صناعة البلاد ، بمقتضى قانون أصدره لتنظيم الجمعيات والشركات أصبحت شطراً من مشروع عام

ضخم يـدار بعين حريصة على حمايـة مصلحـة العـامـل من نـاحية ، وعلى رخـاء الصناعـات والأعمال التجـارية وكفـالـة رؤوس أموالها وضمان أرباح معقولة من ناحية أخرى .

إن سيـاسة التعسف التي مـارسها مـوسـوليني على كـل الأصعد لا يعني أن المقاومة السرية كانت معدمة بـل اشتعلت في البـلاد رغم كل المحـاولات التي بذلت لإخمـادها . وفي خـلال ذلك كله تـزايدت الأعبـاء الماليـة على كاهـل الدولـة وساءت الأحوال الاقتصادية كثيراً .

الفصل الثالث

اطماع موسوليني في ليبيا وتونس والحبشة

احتلال ليبيا :

منذ وصول موسوليني إلى الحكم عزم على تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة إيطالية . وكانت أولى فريساته ليبيا التي أعاد احتلالها عسكرياً وفرض سيطرته عليها عبر اتباع سياسة قاسية مع المواطنين . وعمل على شل كل المؤسسات الإقتصادية والزراعية والصناعية وسهل هجرة الإيطاليين إلى ليبيا لينفذوا سياسة استيطانية على أراضيها .

لم يستطع الغزاة الإيطاليون تحطيم مقاومة القبائل إلاّ بعد مرور ثلاثة عشر عاماً أخرى . وقد تميزت العمليات الحربية التي كانت تجري في تلك البلاد بمقاومة عنيدة وبطولة فائقة أبداها الشعب الليبي ، ولم يكن بوسع القوة الحربية الإيطالية إخضاع البلاد وإنجاز احتلال ليبيا واستعمارها الماضي عام ١٩٣٢ بعد مذابح جماعية وتنكيلات وحشية بالقبائل المتمسكة بأرضها . ولجأت السلطات الإيطالية إلى الفصل في التعليم بين مدارس العرب ومدارس المعمرين الإيطاليين . ووضعت في مدارس العرب ، باستثناء التعليم الديني الإسلامي في

أيـدي معلمين إيطاليين ، وحلت اللغـة الإيطاليـة محل اللغـة العربية في التعليم بمختلف مراحله باستثناء السنوات الثـلاث الأولى في المـرحلة الابتدائيـة . وكان القصـد من ذلك إبقـاء العـرب دون الإيطاليين في مسـتوى التعليم والثقافـة وتـزويـد الإدارة المحلية بالكتبة وصغار الموظفين من العرب .

وقد اعتمدت إيطاليا في استعمـارها ليبيـا على الأقليات لتمزيق وحدة الشعب وذلـك من أجل بث الشقـاق بين سكان البـلاد . فقربت إليهـا فئة من الـطائفة اليهـودية تعـاونت معها ومنحتهـا حقوقـاً سياسيـة وامتيازات اقتصـادية ودينيـة مساويـة لحقوق المواطنين الإيطاليين وامتيازاتهم .

٢ ـ التسوية الفرنسية الإيطالية حول تونس :

وكانت مشكلة الحدود الليبية ـ التونسية واحدة من نقاط الاحتكـاك المباشـر بين إيطاليـا وفرنسـا . وفي هـذه المشكلة واجهت إيطاليا خصماً عنيداً صلباً بعكس الحال بالنسبة لقضية واحة جغبوب . ولهذا لم تحصل الحكومة الإيطالية من فرنسا إلا على تعديل جزئي في الحدود يمنح إيطاليا طريقاً يربط بين ليبيا وأفريقيا الوسطى .

كان الفاشيون ينظرون إلى تونس على أنها امتداد للوطن الأم نـظراً لموقعهـا الاستراتيجي المهم على شـواطىء البحـر المتوسط . كونها كانت قديماً المنافس الحقيقي للإمبراطورية الرومانية التي يسعى موسوليني لإعادة إحياء أمجادها . وبالتالي

فإن تونس غنية بمواردها وبموانئها المهمة . ولهذه الأسباب ركز موسوليني على أن تكون تونس أرضاً إيطالية بالرغم من المعارضة الفرنسية . وعند وصول هتلر وحزبه النازي إلى السلطة في ألمانيا . بدأ ينتاب فرنسا الخوف من احتمال إقدام إيطاليا على التحالف مع ألمانيا وما يشكله هذا التحالف من خطر حقيقي على فرنسا ودورها في البلدان العربية . لذا أقدمت فرنسا على عرقلة كل مسعى من شأنه أن يساعد على تقريب مثل هذا التحالف بين الدولتين .

ولجأت إيطاليا الفاشية إلى وسائل الإعلام تمهيداً للدخول إلى تونس واحتلالها . وقامت بتوزيع المنشورات باللغتين العربية والفرنسية عبر قنصليتها في تونس وهي تؤكد دور إيطاليا في حماية المسلمين . ومن هذه المنشورات كتاب بعنوان الشباب الفاشي الذي صدر في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٧ وكتاب ما رأيت في البلاد الإسلامية .

لتسوية الوضع مع موسوليني أعطت فرنسا الامتيازات للإيطاليين في تونس الفرصة لأن يصبحوا جالية قوية بل وأن يصبحوا في مطلع العشرينات من القرن العشرين أشبه بدولة داخل دولة حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية أن تكسر شوكة الجالية الإيطالية في تونس بالطرق القانونية ولكن موسوليني كان بالمرصاد لكل محاولة من هذا النوع .

الحرب الحبشية الإيطالية :

شجع تخاذل فرنسا وبريطانيا أمام الغزو الياباني لمقاطعة منشوريا، وانتهاجهما في غير جدوى سياسة التهدئة، وإخفاق عصبة الأمم في محاولاتها تسوية حادث منشوريا بما يعيد الطمأنينة إلى الدول الصغيرة ، ويكفل سلامتها - تجمعت هذه العوامل وغيرها بتينو موسوليني دكتاتور إيطاليا على الإقدام دون خشية على النزول في حلبة الفتح والاستعمار . وامتشق الحسام في وجه دولة صغيرة ضعيفة ، رنت أنظار الإيطاليين أمداً طويلاً إلى امتلاكها واستغلال مواردها الطبيعية .

وكانت إيطاليا قد اعتزمت في عام ١٩٣٣ الاستيلاء على الحبشة ، برغم أن كلتا الدولتين كانت عضواً بعصبة الأمم . ووعد موسوليني مواطنيه بأنه حينما يجيء عام ١٩٣٥ « ستصبح إيطاليا في مركز يجعل صوتها مسموعاً وحقوقها معترفاً بها » ورأى أن الأوان قد حان لإعادة الإمبراطورية الرومانية ذات المجد التليد والسلطان الواسع . وبدت له الحبشة التي اعترضت الطريق بين المستعمرتين الإيطاليتين : ليبيا والصومال ، والتي كان يذاع عنها وفرة مواردها الطبيعية وضعف قوتها الحربية - بدت له لقمة سهلة سائغة يمكن أن يبدأ منها تحقيق آماله العريضة وأحلامه الضخمة .

انتهز موسوليني الخلافات التي نشبت في عصبة الأمم بين فرنسا وبريطانيا . واستطاع أن يقنع في أوائل سنة ١٩٣٥

بيير لافال رئيس الوزارة الفرنسية بالموافقة على هذا الفتح . كما اتفق سراً مع هتلر على القيام بخطوة في أفريقيا تبرر قوة إيطاليا العسكرية من جهة ، وتمتحن قوة التضامن الإنكليزي الفرنسي من جهة أخرى . وفي تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ افتعلت السلطات الإيطالية في الصومال حادث حدود مع الحبشة ، وبدل أن تحتكم إيطاليا إلى عصبة الأمم أو إلى محكمة العدل الدولية جردة حملة عسكرية ضد الحبشة .

استمرت الحملة الإيطالية على الحبشة نحواً من ثمانية أشهر واستصرخ النجاشي هيلا سلاسي العصبة بأن تمد له يد الإغاثة ، بعد أن تعرضت بلاده لفتك جميع المعدات الحربية لدولة أوروبية من الدرجة الأولى في المصفحات والطائرات والغازات السامة .

وبعد مناقشات طويلة وخطب مملة ، أعلنت عصبة الأمم في تشرين الأول أن إيطاليا دولة معتدية . وقررت في الشهر التالي توقيع العقوبات الاقتصادية التي يفرضها عهد العصبة في مثل هذه الحالة على الدول المعتدية . ولكن قرار العقوبة ظل حبراً على ورق ولم يمنع الإيطاليين من احتلال أديس بابا وإخضاع الحبشة للحكم الإيطالي المباشر في شهر آذار ١٩٣٦ . واكره هيلا سلاسي على الفرار في أوائل أيار . وانتشى الدوتشي بخمرة النصر وأعلن في ٩ أيار ضم الحبشة كلها إلى إيطاليا ، ونادى بالملك فكتور عمانوئيل الثالث

إمبراطوراً على الحبشة . وأظهرت بريطانيا وفرنسا أن كلتيهما تؤثر سياسة التهدئة الملتوية . وما لبثت العصبة أن أقرت جهاراً بعجزها ، ورفعت العقوبات الإقتصادية عن إيطاليا في منتصف عام ۱۹۳۷ .

الفصل الرابع

سياسة موسوليني الأوروبية

في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٣٦ شكلت ألمانيا وإيطاليا كتلة عسكرية سميت (محـور روما ـ برلين) وذلك من أجـل تعزيز التدابير العدوانية وتعجيل إعداد حرب عالميـة . وتفاهـم الحليفان حول الأعمال المشتركة المقبلة ضد شعوب أوروبا . وفي ٢٥ تشرين الثاني وقعـت ألمانيا واليابان معاهدة عسكرية انضمت إليهـا إيطاليـا بعد عـام من ذلك . ومن أجـل إخفـاء الهدف الحقيقي للمعتدين الفاشيين الذين كانوا يتـطلعون إلى السيطرة العالمية ويريدون كسب عطف الأوساط الحاكمـة في الولايات المتحـدة وإنكلترا وفـرنسا فـإن هذه المعـاهدة أطلق عليهـا اسم « الميثـاق المعـادي للكـومنتـرن » . وكـان نصـه الرسمي يطلب من الموقعين خوض نضال مشترك ضد « نشاط الكـومنترن » في داخـل وخارج بلدانهم . وتتضمن المعـاهدة أيضاً بنوداً سرية تنص على حرب ضد الاتحاد السوفياتي .

إن الميثاق المعادي للكومنترن ، بالرغم من تمويهه غير الناجح ، قد لعب مع ذلك دوراً معيناً . فقد تمكن الفاشيست من تحقيق مشاريعهم ، وبدأت الحرب تجتاح بلداناً جديدة في

العالم . في نيسان ١٩٣٩ ، اجتاحت إيطاليا ألبانيا بأكملها في ظل صمت دولي باستثناء الاتحاد السوفياتي .

دخول موسوليني الحرب الثانية :

مع بداية الحرب العالمية الثانية أبدا موسوليني موقف الحياد الظاهر رغم تعاطفه مع تطلعات هتلر التوسعية . لكن جاء اجتياح القوات النازية لفرنسا مناسبة لموسوليني لإشباع رغباته التوسعية . منذ وقت طويل كانت إيطاليا الفاشية تطمع بقسم من أراضي فرنسا وبعض مستعمراتها . وقد كان ذلك أحد الأسباب التي ولدت محور برلين ـ روما . وحين اشتعلت الحرب في أوروبا فضلت إيطاليا في بادىء الأمر مراقبة سير الأحداث . ولكن بمقدار ما كانت تتقدم القوات الألمانية في فرنسا ، كان موقف موسوليني يصبح أكثر عدوانياً .

هيأت الصحافة الإيطالية الرأي العام في البلاد لحرب ضد إنكلترا وفرنسا . وكانت الصحف تصف القدرة العسكرية الإيطالية بعبارات مفعمة بالأطناب الشديد . ففي ٤ أيار ١٩٤٠ كتبت صحيفة تيفيري «أن البر الأدرياتيكي لا يمكن أن يخدم البحرية العدوة فهو شأنه شأن مضيق بادي كاي أو مضيق سكا جيراك ، سيغلق بسهولة قرب قناة أوترامنتي . أما البحار الإيطالية الأخرى اعتباراً من الحدود الفرنسية قرب شاطىء ليفوريا حتى ليبيا على مسافة ١٥٠٠ كلم بما في ذلك كورسيكا وسردينيا وصقلية فيمكن أن تسد من قبل الغواصات الإيطالية

ال ١٢٠ . ان البحر التيراني هو بحر داخلي . ويمكن أن تحتشد فيه بسهولة ست دوارع و٣٣ طراد و١١٨ مدمرة و٦٢ نسافة تابعة للبحرية الإيطالية من أجل الهجوم الحاسم ضد العدو في كل مكان يريد الاقتراب منه . وينبغي أن تضاف إلى ذلك طائفة كبيرة من نقاط ارتكاز الأسطول الجوي الإيطالي القوي مع مؤخرات طليقة ، يحميها خط محصن في جبال الألب وثمانية ملايين حربة ستكون تحت تصرف إيطاليا في حالة الحرب » .

أمام الوضع الحرج للكتلة الفرنسية ـ البريطانية ، وهزيمة فرنسا العسكرية التي ستغير تغيراً تاماً نسبة القوى في المتوسط ، قرر موسوليني الدخول في الحرب . فإن احتمال الحصول بسهولة وبسرعة على ربح كبير كان يبدو له شيئاً مغرياً . لقد أعلن وزير خارجية إيطاليا شيانو في حديث له مع السفير التركي عشية دخول إيطاليا الحرب إن مثل هذا الوضع القائم الملائم بالنسبة لإيطاليا لا يمكن أن يتيسر سوى مرة واحدة كل خمسة آلاف عام ، وإن إيطاليا لن نترك الفرصة تفوت منها إذ أن الحرب ستنتهي في أربعين يوماً .

كان الفاشيون على اقتناع تام بالنهاية السريعة للحرب ، فقد أعلن موسوليني « حرباً مدتها ستة أسابيع » .

إن تبجحات الدوتشي وصحافته كانت تخفي التأخير التكتيكي للجيش الإيطالي ولأسلحته والمعنويات المنخفضة

جداً لأفراده . فقد اعترف الألمان فيما بعد بما يلي « كانت القوات المسلحة الإيطالية من جميع وجهات النظر ، أداة غير كاملة استخدمت دائماً للخداع السياسي » .

وبالرغم من ذلك فإن دخول إيطاليا الحرب في ١٠ حزيران زاد وضع فرنسا حراجة . فقد قام الجيش الإيطالي بهجوم على الجبهة كلها ، من الجبل الأبيض حتى المتوسط . وكان الجيش الفرنسي في جبال الألب بضم ست فرق مطلوب منها أن تواجه ٣٢ فرقة إيطالية .

ووفقاً للاتفاق مع القيادة الألمانية فإن القوات الإيطالية كان ينبغي أن تصل إلى مدينة شامبيري لتتلاقى فيها مع القوات الألمانية . لكن هذا اللقاء لم يحدث . فالقوات الفرنسية ناضلت بشجاعة وحافظت على مواقفها بالرغم من التفوق العددي للعدو . وقد نجح الإيطاليون ولكن بصعوبة كبيرة ، في احتلال مدينة مونتون الواقعة على الحدود على ساحل البحر المتوسط .

في ١٢ حزيران اجتمعت الحكومة الفرنسية التي اتخذت مقراً لها في قصر يبعد ١٥ كلم عن ثورة لبحث الوضع . وقد شرح الجنرال القائد الأعلى للجيش الفرنسي ، الوضع وصوره بأنه ميئوس منه وطالب بالاستسلام الفوري وتحدث عن الاضطرابات الإجتماعية المحتملة .

في ١٨ حزيران تلاقى هتلر وموسوليني من أجل الاتفاق حول مطالبهم من فرنسا . وقد ظهرت تناقضات جدية بين شريكي المحور . وقد قررت الحكومة الأميركية من جانبها الاستفادة من نتائج الحرب الفرنسية الألمانية . فطلبت إلى حكومتي ألمانيا وإيطاليا إبلاغها شروط الهدنة . لكن إيطاليا وألمانيا رفضتا هذا الطلب ، الأمر الذي أزم النزاع مع الولايات المتحدة .

في ٢١ حزيران ١٩٤٠ توجب على ممثلي فرنسا تحمل معاناة إذلال الهتلريين في محادثات الهدنة . فإن الجنرال كايتل سلم للممثلين الفرنسيين ، بحضور هتلر ، الشروط في نفس عربة القطار التي استقبل فيها المارشال فوش في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ الممثلين الألمان . وقد وضع الهتلريون العربة بالذات على نفس طريق مرآب محطة ريتوند في غابة كومبيان . ونصت المادة الثامنة من الهدنة على ما يلي : « سيحشد الأسطول الفرنسي باستثناء القسم الذي ترك تحت تصرف الحكومة ، لصيانة المصالح الفرنسية في إمبراطوريتها الاستعمارية ، في مرافق يجري تحديدها ويجب أن يسرح وينزع سلاحه تحت إشراف ألمانيا أو بالتالي إيطاليا . لم تحدد مدة الهدنة وقد جاء في النص : « إن اتفاق الهدنة هذا يظل نافذ المفعول حتى عقب معاهدة الصلح . ويمكن فسخه في كل وقت وإنهاؤه من قبل الحكومة الألمانية إذا لم تنفذ الحكومة الفرنسية الالتزامات التي تعهدت بها بموجب هذا الاتفاق .

وتصبح الهدنة نافذة المفعول فوراً بعد أن توقع فرنسا الشروط مع موسوليني . تلازم توقيع الاتفاق الفرنسي مع دول المحور مطالبة الصحف الإيطالية تطبيق أشد الشروط ضد الشعب الفرنسي وكتبت صحيفة تيفري في ٢٣ حزيران « لا شفقة لفرنسا . ألم تفعل كل شيء لكي تستحق حذاءنا على رقبتها . لم تبق فرنسا راكعة على ركبتها طوال القرن » . إن شروط الهدنة بين موسوليني وفرنسا المتممة للاتفاق الفرنسي الألماني ، نصت على نهاية العمليات العسكرية في جميع المستعمرات الفرنسية وفي الأراضي الواقعة تحت الانتداب . وقد حددت مناطق مجردة من الصفة العسكرية ستحتلها القوات الألمانية في فرنسا ٥٠ كلم انطلاقاً من الخط الذي كانت تحتله القوات الإيطالية في نهاية العمليات العسكرية . في تونس والجزائر ٢٥٠ كيلو متر انطلاقاً من الحدود مع ليبيا . وتعهدت فرنسا بتجريد شاطىء الصومال الفرنسي ومنشآتها الساحلية بما فيها قواعد طولون ، وبنزرت ووهران من الصفة العسكرية وحصلت إيطاليا على حق غير محدد باستخدام مرفىء جيبوتي ومنشآته وكذلك القسم الفرنسي في خط سكة حديد جيبوتي - أديس بابا .

إن شروط الهدنة هذه لا تعكس المطالب الإقليمية لإيطاليا . فإن هتلر لم يسلم بمطالب موسوليني الذي كان يريد أن يلحق فوراً منطقة السافواي وكوريسكا ونيس ، وتونس .

كان هتلر يريد أن يبقى في فرنسا على حكومة من الدمى . ولذلك كان ينبغي الانتظار قبل تقاسم الأرض الفرنسية . كتب وزير الخارجية الإيطالية شيانوفي يومياته « لقد تبين لي أن موسوليني مستاء . . . إن الدوتشي شديد التطلب . فهو يريد أن يحتل كل الأرض الفرنسية وأن يستولي على البحرية . لكنه كان يدرك أن ليس لديه سوى قيمة استشارية » . وأن هتلر لا يريد أن يأخذ هذا الرأي بعين الاعتبار . وقبلت الحكومة الفرنسية الشروط الإيطالية ووقعت الهدنة في ٢٤ حزيران . وبذلك بالذات أصبحت الهدنة مع ألمانيا نافذة المفعول اعتباراً من ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وانتهت العمليات العسكرية .

ومن بين دوي المدافع والشروط التعجزية الإيطالية على حكومة بيتان أصدر الحزب الشيوعي الإيطالي بيان استنكار ضد شروط الهدنة الإيطالية . « إن شعبنا لا يريد أن يكون لا عبداً للبورجوازية الإيطالية ولا خادماً ولا خادماً للإمبريالية الأجنبية ولا جلاداً ومضطهداً للشعوب الأخرى . وهو لا يريد استعباد الشعب الفرنسي الشقيق . ونحن الشيوعيون نعلن أن الشعب الإيطالي لا يعترف ولن يعترف أبداً بشروط الهدنة المخزية المفروضة على الشعب الفرنسي من قبل الإمبرياليتين الألمانية والإيطالية » .

النظام العالمي الجديد (ميثاق برلين) :

أعقب توقيع الهدنة بين إيطاليا وألمانيا من جهة وحكومة فيشي من جهة أخرى إلى اتفاق هتلر وموسوليني مع اليابان على وضع صيغة ميثاق بين الدول الثلاث عبارة عن إقامة نظام جديد في أوروبا . في ٢٧ أيلول ١٩٤٠ وقعت إيطاليا وألمانيا واليابان اتفاقاً في برلين .

جاء في مقدمة هذا الاتفاق أن الدول الثلاث « قررت أن تعمل بصورة مشتركة وأن تتعاون في آسيا الكبرى الشرقية وفي أوروبا . أنها تعتبر إقامة نظام جديد والمحافظة عليه كهدف رئيس لها » .

وبعد المقدمة جاءت المواد التالية :

المادة الأولى : تعترف اليابان بقيادة ألمانيا وإيطاليا بإقامة نظام جديد في أوروبا وتوافق على هذه القيادة .

المادة الثانية : تعترف ألمانيا وإيطاليا بقيادة اليابان من إقامة نظام جديد في آسيا الشرقية وتوافقان عليها .

المادة الثالثة : توافق ألمانيا وإيطاليا على التعاون على الأساس المشار إليه أعلاه ، وتتعهد بتقديم معونة متبادلة بجميع الوسائل السياسية والإقتصادية والعسكرية ، في حالة تعرض أحد الأطراف الثلاث لهجوم من قبل دولة لا تساهم في الوقت الحاضر في الحرب الأوروبية ولا في النزاع الصيني - الياباني .

المادة الرابعة : تعلن ألمانيا وإيطاليا واليابان ، إن هذا الاتفاق لا يتعلق أبداً بالوضع السياسي القائم حالياً بين كل من الأطراف المتعاقدة الثلاث والاتحاد السوفياتي .

لم يكن ميثاق برلين سوى تجديد الاتفاق القديم بين الدول الثلاث ، الاتفاق المعادي للكومنترن . لكنهم بعد الانتصار الجزئي على فرنسا قرروا نزع القناع ولم يعودوا يخفون أن هدفهم هو الاستيلاء على العالم وقد أعلنوا مشاريعهم للتقسيم . إن ألمانيا وإيطاليا كانتا تتنطحان للاستيلاء على أوروبا ، أما اليابان فكانت تريد إخضاع آسيا . وقد أعلنت هذه الدول دون حياء عن رغبتها في إقامة (نظام جديد) الأمر الذي يعني استعباد البلدان المغتصبة .

ومن أجل تنفيذ التزاماتها في برلين ، قررت كل من ألمانيا وإيطاليا أن تناقش بصورة مشتركة مشروع الحرب المقبلة . وخلال هذه المفاوضات في شباط ١٩٤١ أبلغ ريبنترب الممثل الياباني أن ألمانيا تعد هجوماً ضد الاتحاد السوفياتي . وكان برأيه أن هذا الهجوم ستكون نتيجته انتصاراً جباراً للألمان وسيعني نهاية النظام السوفياتي .

لم يكن ميثاق برلين موجهاً فقط ضد الاتحاد السوفياتي . فقد كان موجهاً بصورة مباشرة أكثر أيضاً من الميثاق المعادي للكومنترن ، ضد الولايات المتحدة وإنكلترا . ولهذا السبب فإن ميثاق برلين أقلق رجال السياسة

في أمريكا وإنكلترا . فقد أعلن الرئيس روزفلت « لم يسبق أبداً أن كانت أميركا في مثل هذا الوضع الخطر . فإن ميثاق الدول الثلاث الموقع في ٢٧ أيلول في برلين ، هو تهديد للولايات المتحدة » .

ورداً على ميثاق برلين وقع اتفاقاً في بداية تشرين الأول ١٩٤٠ بين وزير الخارجية الأميركية كوردل هول ولوتيان السفير الإنكليزي في واشنطن وكيساي السفير الاسترالي ، من أجل تنسيق نشاطات هذه الدول في المحيط الهادي .

في الواقع أن اتفاق برلين لم يكن من الممكن أن يقضي على التنازعات بين الموقعين . فقد أعلنت الصحافة الألمانية أن فرنسا وهولندا لم يتم الاستيلاء عليهما كي تقطف ثمار هذا النصر اليابان وإيطاليا . إن أخطر التناقض بين الدول الموقعة على ميثاق برلين إن كل منهما تريد تزعم السيطرة على العالم . فإن موسوليني الذي لم يستطع تحقيق مشاريعه ضد فرنسا قد اعتبر نفسه مهضوم الحقوق . لكن كان يأمل بالحصول على قائده في أوروبا الجنوبية

الفصل الخامس

حروب موسوليني في إفريقيا والبلقان

بعد دخول إيطاليا في الحرب ضد فرنسا وإنكلترا ، بدأت العمليات العسكرية في أفريقيا وفي حوض المتوسط كله . فإن موسوليني . كان قد قرر إنشاء إمبراطورية استعمارية كبيرة في الاستيلاء على مواقع إخصامهم . فإن الضعف العسكري لإنكلترا وفرنسا كان يبعث لدى إيطاليا الأمل بنجاح تام .

احتلت القوات الإيطالية الصومال البريطاني وتوغلت توغلاً عميقاً في كينيا ، ثم دخلت إلى السودان حيث احتلت حاضرتي قصالا وغابات وأخذت تهدد الخرطوم . في شهر أيلول ١٩٤٠ شنت قوات موسوليني هجوماً في شمالي أفريقيا . وقد اجتازت قوات الماريشال غراز باني الحدود التي تفصل بين ليبيا ومصر وتقدمت نحو مدينة سيدي براني المصرية . وقد توقف الهجوم عند هذا الحد لأن الجيش الإيطالي لم يكن على استعداد للتقدم في الصحراء الغربية .

في حين كانت القوات الإيطالية في أفريقيا تستعد للعمليات المقبلة ، شرعت الحكومة الإيطالية في مغامرة

عسكرية جديدة تهدف الإسراع في احتلال جنوبي شرقي أوروبا قبل ألمانيا . وحيث أن هتلر لم يسمح لموسوليني في أن يحقق مطالبه الإقليمية في فرنسا في عام ١٩٤٠ ، قرر هذا الأخير أن يخوض في البلقان حرباً مستقلة .

في ٢٨ تشرين الأول ١٩٤٠ ، في الساعة الثامنة صباحاً ، واجه سفير إيطاليا في أثينا وزير خارجية اليونان وسلمه الإنذار التالي : « إن إيطاليا رغبة منها في تأمين سلامتها ، تطلب من الحكومة اليونانية ، كضمان لحيادها ، أن تسمح للقوات المسلحة الإيطالية باحتلال عدة نقاط استراتيجية على الأرض اليونانية » .

وكان أمام اليونان ثلاث ساعات لإعطاء الجواب . لكن هذه العملية لم تكن سوى مجرد معاملة شكلية ، لأن القوات الإيطالية كانت قد اجتاحت اليونان من جهة ألبانيا التي تحتلها إيطاليا . ويقول غودريان « إن هتلر قد علم فجأة أن حليفه شرع في حرب ضد اليونان دون أن يبلغه ذلك وحتى دون أن يأخذ موافقته » . إن إيطاليا بمهاجمتها اليونان كانت تأمل أن لا تبدي حكومة ميتاكساس الفاشية أية مقاومة . وفي الواقع فإن الحكومة اليونانية لم تكن تريد مقاومة الغزاة وقد اعترف بذلك الجنرالات اليونانيون فيما بعد . لكن أرغمت المظاهرات الشعبية الحكومة على مجابهة الغزاة . وفعلاً دخل الجيش اليوناني في مواجهة مع الإيطاليين وأجبرهم على الانسحاب

من الأراضي اليونانية ولاحقهم في الأراضي الألبانية التي انطلقوا منها في هجومهم . وقد اضطرت قوات موسوليني للتخلي عن نقاط استراتيجية في ألبانيا كمدينتي سيروكاسترا و كورتشاو كذلك مرفأ سارندا في البحر الأدرياتيكي .

من جهة أخرى أرادت بريطانيا استغلال المقاومة اليونانية ضد القوات الفاشية ، فكتبت صحيفة ديلي هيرالد العمالية تقول : « إن دخول اليونان الاضطراري في الحرب ، يوفر لنا إمكانيات رائعة ، فهو يعطينا ، إذا عملنا بسرعة ، موقعاً نستطيع أن نهاجم منه إيطاليا »..

لم تستفد إنكلترا إلا جزئياً من هذا الوضع . ففي ليل ١٢ - ١٣ اتشرين الثاني ١٩٤٠ ، هاجمت البحرية والجوية الإنكليزية الأسطول الإيطالي في قاعدته في تورانتو . ومنيت البحرية الإيطالية بهزيمة جدية . فمن أصل الست سفن قتال إيطاليا كانت موجودة عطلت ثلاث منها . وقد أصيب طردان بضرر جدي . وأدى نجاح الإنكليز هذا إلى تغيير نسبة القوى البحرية في البحر المتوسط لمصلحتهم وأتاح لهم شن هجوم كبير في أفريقيا .

لكن العامل الحاسم بالنسبة لهذا الهجوم كان نشاط الثوار اليونانيين والألبانيين الذين وضعوا قوات موسوليني في حالة حرجة ، وفي ٩ تشرين الأول ١٩٤٠ انتقل الإنكليز فجأة إلى الهجوم في شمالي أفريقيا . وتخلى الإيطاليون الذين

فوجئوا بهذا الهجوم عن سيدي براني في ١١ كـانون الأول . واجتيـاز الإنكليز حـدود ليبيا واحتلوا بـرقة كلهـا بما فيهـا بني غازي ، القاعدة البحرية الهامة . وبعد وقت قصير بدأ الهجوم الإنكليـزي ضد الإيـطاليين في الحبشة ، وفي اريتـريا ، وفي الصومال الإيطالي ، وفي الصومال البريـطاني ، وفي السودان وكينيا . وقد دامت العمليات في هذا الجزء من أفريقيا أكثر من ستة أشهر . وفي صيف ١٩٤١ ، كانت إيطاليا قد فقـدت كل مستعمراتها في أفريقيا الشـرقية ، بمـا في ذلك الحبشـة التي كانت قد احتلتها قبل وقت قليل . وفي الخامس من أيار ـ أي بعد خمسة أعوام من مناداة موسوليني بملك إيطاليا إمبـراطوراً على الحبشة ـ دخل الإمبراطور هيلا سلاسي عاصمة ملكـه . وبعد أسبوعين سلم دوق أوستا نائب ملك إيطاليا نفسه مع عدد كبيـر من الضباط والجنـود إلى البريـطانيين . ولم يختتم شهر تشرين الأول ١٩٤١ حتى كانت آخر فلول القوات الإيطالية في ذلك الميدان قد استسلمت دون قيد أو شرط .

طوال كل هـذا الوقت ، من تشـرين الأول ١٩٤٠ حتى آذار ١٩٤١ ، لم تقـدم ألمانيـا أية مسـاعدة لحليفتهـا . فقـد أرادت معاقبة موسوليني على تمردها ولم يستشرها . فضلاً عن ذلك فإن ألمانيا كانت تنتظر اللحظة التي ستطلب فيها إيطاليـا المساعدة بعد ضعفها ، لكي تفـرض عليها شـروطاً قـاسية . وأخيراً فإن هتلر كان يرغب في احتلال بلدان جنوبي ـ شـرقي أوروبا والشرق الأدنى . وقد اعتقد النازيون أن جيوشهم يمكن

أن تعبر جنوبي - شرقي أوروبا وتركيا في اللحظة المناسبة وأن تستولي على آبار النفط في إيران والعراق وأن تبلغ مصر ، وأن تضع يدها على قناة السويس لتنطلق بعد ذلك في اتجاه الهند .

كان هتلر يتوقع أن يحصل في جنوبي - شرقي أوروبا على المواد الأولية وعلى الأغذية وعلى الاحتياطات البشرية من أجل حملة ضد الاتحاد السوفياتي .

واعتباراً من شهر آب ١٩٤٠ بذل الدبلوماسيون الألمان نشاطاً كبيراً في جنوبي - شرقي أوروبا كله . فقد استغلوا التناقضات بين البلدان البلقانية . وفي الواقع فإن معاهدة تريانون كانت قد حرمت المجر من بعض أراضيها . وفي مؤتمر فينا تصرف موسوليني وهتلر « كحام » بين المجر ورومانيا . وعقب تحكيم فينا وقع اتفاق في ٣٠ آب ١٩٤٠ ، وتخلت رومانيا للمجر عن قسم هام من ترانيلفانيا يبلغ سكانه مليونين ونصف مليون نسمة تقريباً . ووعد موسوليني وهتلر رومانيا بالتعويض عليها بأراض سوفياتية .

في ١٨ نيسان احتل هتلر يوغوسلافيا بأسرها ثم شرع باقتسام الغنيمة مع موسوليني . فقد ألحق سلوفانيا ، القسم الشمالي من يوغوسلافيا ، وتحولت كرواتيا إلى مملكة عاصمتها زغرب ، وعين الدوق سبوليتو الإيطالي ملكاً لها . وأصبح ارئيس الحقيقي لكرواتيا ، انتي بافيليك ، العميل

الهتلري القديم الذي كان قدم خدمات عديدة إلى الألمان أثناء غزو يوغوسلافيا . وعقد موسوليني مع كرواتيا معاهدة « ضمان وتعاون » فرض بموجبها نظام استعماري حقيقي على كرواتيا .

وعلاوة على ذلك حصلت إيطاليا على الجبل الأسود والقسم الأكبر من دلماتيا . وقد أخذ الفاشيون البلغار القسم الجنوبي من يوغوسلافيا حتى حدودها مع البانيا . واحتلت المجر فويغودينا وباتشكا اللتين تشكلان شريطاً واسعاً من الأرض عند زاوية الدانوب . وبما تبقى من يوغوسلافيا شكلت دولة جديدة سميت صربيا يرأسها الحاكم الهتلري نيديك .

تعويم ميثاق برلين ٢٧ أيلول ١٩٤٠ :

بعد العدوان الياباني ضد البحرية الأميركية اتسعت الحرب العالمية الثانية وازداد عدد الدول المتحاربة . وفي ٨ كانون الأول ١٩٤١ ، أعلنت الولايات المتحدة وإنكلترا الحرب ضد اليابان . وفي ١١ كانون الأول أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا وإيطاليا اللتين أعلنتا في اليوم نفسه الحرب ضد الولايات المتحدة . وأعلنت بلغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا هي أيضاً الحرب ضد إنكلترا والولايات المتحدة . وأن المجر ورومانيا اللتين كانتا في حالة حرب مع إنكلترا ، أعلنتا الحرب أيضاً ضد الولايات المتحدة .

في ١١ كانون الأول ١٩٤١ ، وقعت دول المحور ميثاقاً عسكرياً جديداً يتمم ميثاق برلين . وقد أكد هذا الميثاق أن

ألمانيا وإيطاليا واليابان ، ستحارب بصورة مشتركة إنكلترا والولايات المتحدة بجميع الوسائل التي في حوزتها وحتى نهاية الأعمال الحربية . وهي تتعهد بعدم عقد هدنة أو صلح دون اتفاق كامل ومتبادل . وتنص المادة الثالثة من الميثاق : « أن إيطاليا وألمانيا واليابان ، حتى النهاية المظفرة للحرب الراهنة ، ستتعاون تعاوناً وثيقاً بروح الميثاق الثلاثي الموقع في ٢٧ أيلول ١٩٤٠ من أجل تحقيق وإقامة نظام جديد عادل في العالم » . ولم تخف الدول الثلاث أيضاً أن هدفها النهائي هو الاستيلاء على العالم واستعباده .

الفصل السادس

محاولات موسوليني للدخول إلى العالم العربي

بعد أن استتب أمر السلطة لموسوليني في روما راح يتطلع للسيطرة على حوض البحر المتوسط يأمل بعث إمبراطورية رومانية جديدة . وأوكل إلى المستشرق الإيطالي (تالينو) تولي إدارة قسم الشرق الحديث في المعهد الشرقي لإعداد دراسات وأبحاث عن العالم العربي . وقد جعل موسوليني لهذا المعهد مجلة مرجعية أساسية تغطي أخبار الصحافة العربية . فقد تحدد برنامج هذا المعهد ونشاطه في العدد الأول من مجلة Oriente moderno التي كانت تصدر عنه . ففي الافتتاحية ، تحت عنوان « برنامجنا » نجد كيف أن هذه المؤسسة تدرك عملها ، مؤكدة على الأهمية التي احتلها الشرق منذ الحرب العالمية الأولى ، ويشار أيضاً إلى أن المجلة ستقوم بفرز الصحف الشرقية والأوروبية ـ بينها الروسية ـ لتستخلص منها المعلومات التي تهم رجال السياسة والأعمال . وسوف تشجع أكثر الحركة النشطة في إيطاليا للتدخل في المسائل الشرقية على غرار فرنسا وإنكلترا . وأخيراً تلخص الافتتاحية ميدان الدراسة للمجلة بالمواضيع التالية :

١ ـ مواضيع سياسية ، تاريخية تعالج ماضي وحاضر دول الشرق .

٢ ـ مواضيع ثقافية تتناول الحياة الفكرية ، الدينية ، والاجتماعية ، لهذه الدول ، وتطلع على آخر المؤلفات الجديدة .

٣ ـ معالجة مواضيع اقتصادية لتوضع في خدمة رجال الأعمال والسياسة وعلماء الجغرافيا والمستشرقين .

وتعزيزاً للدعاية الفاشية التي قادها موسوليني أنشئت الكراسي العلمية في الجامعات الإيطالية ، وحظيت البعثات التبشيرية بالدعم من الحكومة الفاشية . وأبرمت هذه الأخيرة اتفاقيات لا تران في ١١ شباط ١٩٢٩ مع البابا التي أدت إلى رفع سمعة روما الفاشية وتوثيق صلاتها بالفاتيكان وتقوية نفوذ إيطاليا الأدبي والثقافي والاقتصادي والسياسي في العالم .

تلازم ذلك مع سعي موسوليني لتشكيل جبهة مع هتلر بهدف إعادة توزيع مناطق النفوذ الاستعماري في العالم والحصول على حصص فيها . وحسب تعليقات الصحف الإيطالية لم يخف النظام الفاشي في روما أطماعه في كل من سوريا وفلسطين . فقد ركزت حكومة الدوتشي نشاطها في الأراضي المقدسة بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية التي تمثل مؤسسات دينية وثقافية واسعة فيها . وطالبت صحيفة (ميساجيرو) الإيطالية بضرورة تخلي بريطانيا عن انتدابها في

فلسطين ومنحه لإيطاليا . وقام ولي عهد إيطاليا بزيارة فلسطين وشرقي الأردن في بداية نيسان ١٩٢٨ بهدف الترويج للنظام الفاشي في روما .

منذ عام ١٩٣٢ طالبت إيطاليا بإعادة النظر في انتداب فرنسا على سوريا ولبنان . ووقف مندوب إيطاليا في لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف (تيودولي) إلى جانب المطالب الوطنية العربية في هذين القطرين ، وعارض رئيس الوفد الإيطالي لدى عصبة الأمم (البارون الوازي) مشروع المعاهدة السورية الفرنسية لما عرض على مجلس عصبة الأمم في أيار سنة ١٩٣٤ . وأكد على ضرورة بقاء سوريا موحدة وإلغاء التجزئة ورفع يد الفرنسي عنها . هذا الموقف المعارض لإيطاليا والذي يتجاوب مع تطلعات القوى الوطنية السورية أثار حفيظة فرنسا التي راحت تتهم هذه القوى في بلدي المشرق بالتعاون مع الفاشية .

اتخذت الدعاية الفاشية بيروت كمركز متقدم لنشاطاتها في المشرق العربي . في عام ١٩٣٠ وزع بيان باللغة العربية في كازبلنكا في المغرب باسم الجمعية السرية الفاشية للإيطاليين في الخارج ، يتضمن القانون الأساسي للمنتسبين إليها ولواجباتهم تجاه روما . كان هذا البيان قد ظهر بتاريخ سابق في بيروت ، وجاء فيه « أن الكثيرين من الوطنيين السوريين واللبنانيين وجلهم ممن امتازوا بشرف المنبت وبرفعة

المقام في المجتمع وفي حلبة التجارة والصناعة والأدب قد أظهروا رغبتهم في الانخراط في سلك الفاشية بمدينة بيروت وغايتهم من ذلك تعزيز تبادل المنفعة الأدبية والتجارية بين إيطاليا الفاشية ولبنان المجيد . تقديراً لرغبة هذه الناشئة عن احترامها الكبير لإيطاليا وللفاشست فإن لجنة بيروت ترى من واجبها أن تقدم لأولئك الراغبين في الفاشية القوانين التي تحدد أعمالها وهي ملخصة :

ـ إن لجنة الفاشية تضم إليها الطليان رافعة بينهم الشعور الوطني وتحامي عن مصالحهم الخصوصية والعمومية وتساعدهم وتدافع عنهم وتبرزهم .

ـ تطلع الأجانب على أحوال إيطاليا الحقيقية وتصحح تصوراتهم وتعمم الفنون والعلوم والآداب الإيطالية .

ولما كان من وظيفة هذه اللجنة المراقبة فهي تساعد وتدرب وتجد لهم مراكز وتنصحهم وتتداخل عند الحاجة في الخلاف الحاصل بين الطليان وبين هؤلاء الأجانب ، بين الطليان والسلطات الطليانية وبين الطليان والسلطات الأجنبية .

وبواسطة مهنة البروبا غنده تصلح الأغلاط وتكذب الأخبار الكاذبة . تعطي إيضاحات توزع إعلانات وكراريس وتقوم بمحاضرات وتمثيلات ومعارض وغير ذلك » .

أما شروط الانتساب التي وضعت لكل لبناني يود الانتماء إلى المنظمة الفاشية فقد حددت بالتالي :

١ ـ كل لبناني تجاوز ٢١ سنة وعرف بثقافته وسلوكه الجيد وغير منتسب للماسونية بإمكانه أن يصبح عضواً فاشستياً .

٢ ـ يتوجب على العضو أن يقدم طلب الانتساب بتزكية اثنين من الفاشيين الطليان .

٣ ـ يقبل الطلب بأغلبية الأصوات وموافقة ممثل الفاشست في بيروت .

٤ ـ يتوجب على الفاشستي :

أ ـ أن يزود ببطاقة العضوية .

ب ـ أن يتقيد بالقانون الأساسي والأوامر الصادرة عن السلطات العليا .

ج ـ أن يمحض احتراماً لأعضاء لجنة فرع .

د ـ أن يلتزم بالدعاية للفاشية وأن تكون هدفاً لنشاطه . . . » .

حاول موسوليني في دعايته الموجهة إلى العالم العربي استغلال الشعور الوطني العربي المعادي للاستعماريين الفرنسي والإنكليزي ليطرح نفسه كمحرر للشعوب العربية . اتبع أشكالاً متعددة في الدعاية تبعاً للظرف والمكان وإن تمحورت بشكل رئيسي على التقرب من المسلمين . فقد قدم موسوليني (كمحام للإسلام) في مسرحية أعدها في ليبيا حيث

تسلم درع الإسلام من القبائل العربية الذي كان قد صنع في روما .

في البداية دخلت الدعاية الإيطالية إلى بلدان المشرق العربي بحجة المساعدات الثقافية والإنسانية . افتتح عدد من المدارس والمستشفيات في المدن الرافضة للانتداب الفرنسي مثل بيروت وطرابلس ودمشق .

١ ـ مدرسة الاناث الإيطالية للراهبات الكائنة في رأس بيروت .

٢ ـ مدرسة الذكور الإيطالية للآباء الدومنيكانيين في رأس بيروت .

٣ ـ مستشفى الراهبات الكرمليات في طرابلس .

حسب ما أشار إليه الأرشيف البريطاني استقبلت هذه المدارس الطلاب مجاناً أو باشتراك زهيد حيث ضمن ألف تلميذ في السنة ، إضافة إلى إعطاء دروس مسائية مجانية . ومنذ عام ١٩٣٢ بدأ تسيير رحلات منظمة للشباب من سوريا ولبنان إلى إيطاليا وبأسعار زهيدة . ويضيف المصدر البريطاني اعتماداً على مصدر موثوق جداً أن نحواً من عشر صحف محلية في البلدين تحصل على مساعدة بنحو ٤٠٠ فرنك في العام لكل واحدة . كذلك منح القنصل الإيطالي مساعدات تصل إلى ٦٠٠٠ فرنك لكل من صحيفتين لبنانيتين لهما علاقة وثيقة بحزب ديني ، فضلاً عن توزيع مبالغ من المال على صحف لا

يعترضون على اتجاهاتها مقابل نشر دعاية لشركات إيطالية . بقي أيضاً قدر معين من الدعاية المؤثرة تولاها (بنكودي روما) بتسهيله معاملات التجار وأصحاب الأملاك الراغبين في الرهان ويمكن تبريرها بأكثر من اعتبارات تجارية صرفة .

دور بنكو دي روما في المشرق العربي :

أسس البنك عام ١٨٨٠ برأسمال وقدره ٢٠٠ مليون لير إيطالي وهو مدفوع بكامله وموزع على مليوني سهم . وقد كان لهذا البنك عام ١٩٣٠ مائة واثنان وعشرين فرعاً في إيطاليا وسبعة عشر فرعاً في مدن شواطىء البحر المتوسط . وقد وزع أرباحاً لأسهمه منذ عام ١٩٢٠ بمعدل ٨٪ وفي عام ١٩٢١ ٦٠٪ ، ولا شيء عن عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ الذي توافق استلام موسوليني للسلطة في روما . وبعد ذلك وزع البنك أرباحاً بمعدل ٥٪ عن عام ١٩٢٤ و٦٪ عن أربع سنوات انتهت في عام ١٩٣٠ .

باشر البنك أعماله في سوريا ولبنان سنة ١٩١٩ وأسس أربع فروع في بيروت وحمص واللاذقية وطرابلس وانحصرت أعماله في الصيرفة لأن الرأسمال الذي وصف في البداية كان ضئيلاً . وأصبحت هذه الفروع تنافس المصارف الفرنسية في بلدان المشرق . بعد تولي الدوتشي السلطة في روما لجأ البنك إلى مختلف الوسائل لتشجيع المواطنين في المشرق العربي للتعامل معه . في عام ١٩٣٤ أعلن البنك في سوريا عن

استعـداده لقبول الاكتتـاب للاسهم المـاليـة التي ستصـدرهـا الحكومة الإيطالية وهي أسهم تستهلك في تسع سنوات وتعطي فائدة قـدرها ٤٪ سنـوياً وفي السنـوات الخمس الأولى يجري عليها سحب جوائز مرتين في العام وذات قيمة مغرية .

إن بنكو دي روما كان يستعمل مختلف الـطرق لتشجيع الآخرين على التعامل معه فهو يقول مثـلاً في إعلان لـه ، إنه البنك الوحيد الذي يملك أكبر رأسمال بين جميـع الشركـات المالية المـوجودة في بـلاد الانتداب الفـرنسي وهو يثـابر على تشجيع الطبقة المتوسطة التي ما زالت تتعاطى الأعمال معه ، لذلك قرر إجراء تسهيلات لهذه الطبقة تمكنها من السحب من ودائعها وقرر إبقاء الفائدة ٣٪ .

أثر الرحلات الشبابية إلى إيطاليا :

شجعت دول المحور (إيطاليا وألمانيا) الشبيبة العـربية على التعاون معها عبر دعوتهم إلى زيارة مدنها . وعلموا مئات الشبان العرب على حسابهم تعليماً ثـانويـاً وجامعيـاً وأشركـوا ممثلي المؤسسات العربية ، السياسية والاجتماعية والثقافية في المهرجانات التي برعوا في إقامتها وأشهرها مهرجان نورمبـرغ في سنة ١٩٣٨ الذي حضره مئات الشخصيات العربيـة ودعوا التجـار العرب إلى معـارضهم الصناعيـة والتجاريـة وأشهرهـا معرض باري الدولي . وحاولت الحكومة الفاشية على صعيـد آخـر استقطاب أكبـر عـدد من الشبـاب الشـرقيين إلى جـانب

سياستها . ففي أواخر كانون الأول عام ١٩٣٤ نظمت المؤتمر الثاني للطلبة الشرقيين في روما وحضره مندوبون عن ثلاثين جمعية ومنظمة طلابية . وأسفر المؤتمر عن تشكيل مجلس للمؤتمر ولجنة تنفيذية ومكتب دائم . وضمت اللجنة التنفيذية عضواً عربياً هو الأمير شكيب أرسلان كما ضم المكتب الدائم عضواً عربياً آخر هو غالب سالم . وقد استقبل موسوليني وفداً يمثل المؤتمر ضم شكيب ارسلان . إلى جانب ذلك أسس النظام الفاشي كنفدرالية للطلاب العرب الشرقيين في روما وأصدروا لهم مجلة باللغة الفرنسية La jeune Asie .

وحسب الأرشيف البريطاني فإن الجالية الإيطالية في لبنان وسوريا والتي يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ شخص معظمهم من الطبقة المتوسطة والدنيا ويعملون في الميكانيك وغيرها منظمين بشكل فاشي ويتخذون لهم عدداً معيناً من الاتباع المحليين الذين يشجعونهم حتى يسيروا باستعراض في قمصان سوداء غير ذلك .

النشاط الإعلامي الإيطالي :

اتبع النظام الفاشي في إيطاليا سياسة إعلامية ، واضحة في العالم العربي الغاية منها كسب ود العرب والتقرب منهم والتأكيد على الصداقة التي تربط إيطاليا بالعالم الإسلامي . وبقرار من الكونت شيانو مدير مصلحة الدعاية في الحزب الفاشي أنشأت إذاعة باري باللغة العربية وبإدارة الشيخ يوسف

الخازن . لكسب التأييد العربي لموسوليني . في البداية كان البث الإذاعي ثلاث مرات في الأسبوع ثم زادت مدة الإرسال حتى أصبحت يومية ولمدة عشرين دقيقة وزيدت المدة فيما بعد حتى بلغت ٧٥ دقيقة في عام ١٩٣٨ . وركزت إذاعة باري على تمجيد قوى إيطاليا ونظامها السياسي والإشادة بالحضارة العربية الإسلامية وتنمية الشعور بالاعتزاز القومي لدى المستمع العربي ، وتأييد المطالب الوطنية في مصر وفلسطين وسوريا والمغرب العربي وشنت هجوماً على السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية في الأقطار العربية الواقعة تحت هيمنة بريطانيا وفرنسا .

وكانت إذاعة باري تنتهز كل مناسبة دينية أو وطنية لدى العرب لتدعوهم إلى الاتحاد والسير على طريق التقدم لاستعادة ماضيهم المجيد . وتشيد في هذه المناسبات بالحركة القومية العربية الرامية إلى وحدة أقطار المشرق العربي وتربط تعليقاتها السياسية بين نضال عرب المشرق وعرب المغرب وتؤكد على دور إيطاليا في مساعدة العرب كافة على تحقيق أهدافهم القومية .

نشطت الدعاية الفاشية أكثر ما يكون في فترة كان المشرق العربي يغلي بالأحداث منها الانتفاضة المسلحة في فلسطين . كما كانت المعارضة الوطنية في كل من سوريا ولبنان ومصر قد قطعت شوطاً في إزعاج الانتداب الفرنسي

والإنكليزي . في حين شهد العراق قيام أول انقلاب عسكري (بكر صدقي) معطياً إشارة مبكرة للدور المتعاظم الذي ستقوم بـه المؤسسـة (العسكـريـة) النـاشئـة في حيـاة المجتمعـات العربية .

وكانت إيطاليـا في دعايتهـا الموجهـة للعرب تستهـدف زعزعة ثقتهم بحكـامهم الإنكليز والفـرنسيين وتحريضهم على الثورة والتمرد . كما كان موسوليني ينتظر من بريـطانيا وفـرنسا الاستجابة لـطلبه في الحصـول على المزيـد من المستعمرات ومنـاطق نفوذ في آسيـا وأفريقيـا . وكان يستهـدف التـودد إلى العرب من أجل كسب ثقتهم تمهيداً لإيقاعهم في شراكه وذلك بأن يطالبوا بانتداب إيطاليا وحمايتها .

التأثير الدعائي في الوسط العربي :

نجحت الدعاية الإيطالية إلى حد مـا في الحصول على تأييد عدد من رجال الدين المسيحي إلى جانبها بعدمـا راحت تظهر روما على أنها حامية الكثلكة في العالم . إن هذا التوجه في الدعاية لفئة من المؤيدين أضفى أهمية خاصة على نشـاط الفاشيين لما لرجال الدين من وزن في مجرى الحياة السياسية في الشـرق العربي . وفي تقـرير بـريطاني تعليقـاً على زيـارة البطريرك عريضة إلى كـل من الفاتيكـان وباريس عـام ١٩٣٧ إشارة إلى أن البطريرك قد وقع فريسة إطراء الحكومة الفـاشية وأن غرض زيارته لروما للحصول على اتصال أوثق بموسوليني

منه إلى تقديم الاحترام إلى البابا . ويعزو المصدر البريطاني ذلك إلى اختلاف البطريرك الماروني مع المفوض السامي الفرنسي دي مارتيل بسبب صدور مرسوم احتكار التبغ والتنباك عام ١٩٣٥ ولم يستشر به ، وقد أطلق إشاعات ذات صلة بزيارته إلى روما . ثم أخذت الشائعات على محمل الجد انطلاقاً من مؤشرين :

١ ـ عندما تأكد أن زيارة القنصل الإيطالي للبطريرك كانت بهدف إبلاغه أن الحكومة الإيطالية رتبت له سفراً مجانياً إلى برنديزي على متن إحدى السفن الإيطالية .

٢ ـ تصريح البطريرك أثنا مأدبة أقيمت على شرفه عند مروره بالقاهرة وجاء فيه « أن موسوليني رجل عادي أرسلته العناية الإلهية لخير إيطاليا والعالم أجمع » .

في روما استقبل البطريرك الماروني عريضة بحفاوة بالغة . وأثناء مباحثاته مع البابا والمسؤولين الإيطاليين أبرز عريضة أهمية الطائفة المارونية في الحياة السياسية اللبنانية . وفي ٨ أيار ١٩٣٧ بث راديو روما خطاباً للبطريرك باللغة الفرنسية ورد فيه « . . . وجدنا التكريم لشخصنا من جانب الحكومة والإمبراطور الملك ورئيسها بنيتو موسوليني الرجل الذي اختاره الله لنهضة شعبه » .

في فلسطين بذل الفاشست جهوداً دعائية مكثفة فيها باعتبارها منطقة مهمة لطرق المواصلات الاستراتيجية

لبريطانيا ، ولأن أنابيب النفط الآتية من الموصل تصب في ميناء حيفا . هذا الخط تعرض في فترات متلاحقة إلى عمليات تخريب من قطع الأنابيب وإشعال النيران في النفط ، فأظهرت التحقيقات مع بعض المتهمين بأنهم كانوا يعملون بإيعاز من ضباط إيطاليين . وفي العراق اهتم الفاشست بالسيطرة على المناطق التي توجد فيها آبار البترول عبرا إغداق الأموال على العشائر القاطنة في تلك المناطق .

الموقف العربي من سياسة موسوليني :

لم يكن العرب على مستوى واحد من العلاقات مع دول المحور . فكانوا يفضلون ألمانيا النازية لما لها من صفحة بيضاء عندهم . فإنها لم تحتل من قبل شبراً واحداً من أرض العرب . وما كان يعكر صفو العلاقات بين المحور والعرب هو أطماع إيطاليا المباشرة والتقليدية في طرابلس الغرب . فقد اختبر الليبيون بربرية الاستعمار الإيطالي منذ سنة ١٩١١ . ان ثورات الشعب الليبي ضد الإيطاليين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ـ ١٩٢٧ و ١٩٣٠ هي براهين ثابتة على حالة التذمر . لقد حصدت هذه المواجهة ، حسب الصحف التركية ، أكثر من ٢٦٠ ألف ليبي ، فضلاً عن أن الطائرات الحربية الإيطالية أزالت مئات من المدن والقرى الصغيرة ، فيما أشارت بعض المصادر عام ١٩٣٩ إلى تخصيص جندي إيطالي لكل أربعة مواطنين ليبيين . رغم تلك المآسي ظل الشعب الليبي مصمماً على متابعة نضاله وتوسيع دائرته ضد الفاشست الإيطاليين . ومما

كان يقوله الثائرون « احترزوا من الخداع السياسي الإيطالي الذي يود استخدام أولادنا بلباس الجند الليبي لوضعهم على فوهة المدافع لتحقيق أهدافهم التوسعية » . بالمقابل أمل العرب أن يؤدي تأييدهم للألمان للضغط على حليفتهم إيطاليا فتتخلى عن تلك الأطماع وتستعيض عنها إن شاءت بمراكز متوسطية أخرى خارج البلاد العربية وأدرك العرب أن المجال الحيوي الذي تضمنه ليبيا لإيطاليا كنقطة ارتكاز لتحويل المتوسط إلى بحيرة إيطالية يمكن الاستعاضة عنه بقبرص أو البانية أو اليونان . ولما وجد العرب استمرار موسوليني في سياسته التعسفية ضد ليبيا سيروا المظاهرات في حوالي عشرين مدينة عربية احتجاجاً على نوايا إيطاليا الفاشية الاستعمارية . في شهر كانون الثاني ١٩٣٩ اضطر موسوليني أن يؤكد للعرب بأنه سيعدل من مخططاته ويوقف الهجرة الإيطالية إلى طرابلس الغرب . ومع ذلك لم تركن القيادات السياسية العربية لوعود موسوليني . ولا سيما ما يتعلق بموضوع احتلال ليبيا . فلما افتتح المؤتمرات الإسلامي في القدس عام ١٩٣١ وقف الحضور خمس دقائق حداداً على استشهاد عمر المختار ، فيما تعرض الخطباء بالنقد لسياسة التعسف الإيطالية تجاه ليبيا . وقد فضح عبد الرحمن عزام في مداخله أمام المؤتمر حقيقة ما يجري في طرابلس الغرب « أن ٨٠ ألف ليبي مشردون على رمال الصحراء بعيدين عن منازلهم ، يتألمون ويموتون من شظف العيش ، والأمهات الثكالي يبكين بصورة مستمرة

أبناءهم الذين انتزعتهم الفاشست من أحضانهم لإرسالهم إلى روما من أجل أن يخدموا أمة عدوة لقوميتهم ودينهم .

المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي :

قبل قيام المواجهة الليبية ضد النظام الفاشي وحدة القيادات الليبية صفوفها . فقد عقد هؤلاء القيادات مؤتمر في غريان في ٢ تشرين الثاني وفيه اتفق على عرض إمارة طرابلس على السنوسي الذي كانت برقة بفضله تتمتع بزعامة موحدة تحت لوائه .

توجه وفد إلى مقر الأمير في إجدابية في نيسان ١٩٢٢ لاستمزاج رأي الأمير بذلك، وبعد رجوع الوفد الطرابلسي إلى مصراتة تموز ١٩٢٢ بويع الأمير وأرسل كتاب البيعة إليه ، وبذلك توحدت الجهود في برقة وطرابلس ضد الطليان .

لما وجدت القيادات الليبية بزعامة السنوسي أن نظام موسوليني قد جعل من المستحيل قيام تفاهم معه قرروا مواجهته . وتقرر نقل قيادة المقاومة إلى مصر لأن ذلك يتيح قدراً كبيراً من الحرية ولأن وقوع الانقلاب الفاشيستي في إيطاليا قد أساء إلى العلاقات بين إيطاليا وبريطانيا إذ أن التحول الفاشيستي قد أصبح يعني منافسة صريحة في البحر المتوسط بين بريطانيا وفرنسا وبين إيطاليا من ناحية أخرى التي لم تلبث أن أحلامها القومية إن جعلت الطليان يركزون أعينهم على ساحل أفريقيا المواجهة لهم بكامله .

في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٢٣ أوصل الملك إدريس السنوسي إلى القاهرة وقاد الجهاد منها . كما هاجر الليبيون بكثرة إلى تونس ومصر وسوريا ولبنان .

وقبل مغادرة إدريس السنوسي برقة عمل على تنظيم المقاومة ، فأسند القيادة العسكرية والسياسية إلى القائد عمر المختار كما أسند إلى أخيه الأمير رضا الزعامة الدينية ، وكان يسندهما الهيئة المركزية البرقاوية ، وهي مجلس من رؤساء القبائل كان قد تألف حين مبايعة الأمير ، وعملت هذه الهيئة على تأليف جهة متحدة من برقة وطرابلس للمقاومة . ولم يلبث الطليان أن استطاعوا تحطيم المقاومة في طرابلس ، وبقيت برقة وحدها تحمل عبء الجهاد . ركز الطليان جهودهم على برقة ثم احتلوا إجدابية مقر الإمارة السنوسية في ٢١ نيسان ١٩٢٣ . وقد توجه عمر المختار إلى مصر حيث تشاور مع الملك إدريس ثم عاد ليتخذ خطة جديدة في تنظيم المقاومة في الجبل الأخضر . أما الطليان فقد حققوا انتصاراً جديداً باستيلائهم على واحة الجغبوب على حدود مصر وهي مركز سنوسي مهم . نجح المجاهدون في قطع الاتصال بين برقة وطرابلس بعض الوقت ، وقد استطاع المجاهدون أن يقضوا مضاجع الطليان وأن يحققوا عليهم انتصاراً مهماً في موقعة الرحيبة المشهورة .

ويسجل التاريخ لعرب ليبيا بطولات عظيمة في وجه

استعمار قاهر يتجلى بحكومة دكتاتورية مستبدة في إيطاليا . وقد عجز الطليان سواء بالإنذار أو التهديد أو بالإغراء استمالة المجاهدين وعلى رأسهم عمر المختار الذين ظلوا يحاربون ببسالة وصبر حتى النهاية . وكانت هناك فترات يجنح الطليان فيها إلى سلوك سبل الخداع وقد نجحوا في إقناع محمد الرضا الدخول في مفاوضات معهم ولكن غدروا به ونفوه كما عادوا فاتصلوا بالمختار لإجراء مفاوضات ، فاشترط المختار إعادة الرضا من المنفى وإعادته إلى برقة . ثم جرت المفاوضات بحضور المختار والرضا ووقع اتفاق سيدي رحومة في عام ١٩٢٩ ، لكن هذا الاتفاق لم يكن بالنسبة للطليان إلا وسيلة لكسب الوقت فعاد الجهاد من جديد وانتهى بالنسبة للمختار نهاية أليمة إذ نجح الإيطاليون في أسره في ١١ أيلول ١٩٣١ بعدما أصيب فرسه وسقط عنها إلى الأرض وأرسل إلى بنغازي وأودع السجن . وكان غرازياني ، القائد العام للقوات الإيطالية في برقة ، في مهمة رسمية في إيطاليافرجع في الحال ، وحوكم المختار محاكمة صورية ، وقضت المحكمة بإعدامه بعد أن استغرقت المحاكمة مدة لا تزيد كثيراً عن ساعة من الزمان ، نفذ به الإعدام شنقاً أمام جمهور غفير من البرقاويين ، وكانوا قد جلبوا قسراً ليشاهدوا إعدام « شيخ المجاهدين » وذلك في الساعة التاسعة من صباح ١٦ أيلول ١٩٣١ .

رغم الخسارة التي منيت بها المقاومة الليبية بفقدان أبرز

قادتها استمر المجاهدون . لكن المقاومة لم تدعم إذ توقفت بعد أربعة أشهر من استشهاد المختار ، عمل فيها المواطنون على استجماع قوتهم ولم شملهم إلى أن استؤنف الجهاد عام ١٩٤٠ .

في هذا الوقت كان موقف إيطاليا مختلفاً ، فقد أصبحت مشتركة في الحرب العالمية الثانية ضد قوات الحلفاء ، وكانت بريطانيا في مصر قد فطنت إلى أهمية القوة الليبية في حرب الطليان ، فجرت مفاوضات بين الملك السنوسي وبين الإنكليز ، واتفق على إنشاء جيش من الليبيين تأسس في ١٢ آب ١٩٤٠ ، بمعاونة الإنكليز . وقد شارك ذلك الجيش في معارك ليبيا مشاركة فعالة . وقد كانت المعارك طاحنة وامتدت على مدى ثلاث أعوام من الحرب العالمية الثانية قدم الليبيون خلالها تضحيات عظيمة في سبيل وطنهم . وفي النهاية نجح الحلفاء في طرد جنود المحور من شمال أفريقيا كله بعد أن دارت عليهم الدائرة بعد موقعة العلمين المشهورة وخرج آخر جندي إيطالي من ليبيا في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٤٣ .

أما عن أهداف موسوليني في ليبيا فتتلخص بالتالي : كان الدوتشي يسعى إلى إيجاد مستعمرات ينتقل إليها الطليان ليعيشوا عيشة مستقرة بها ، فيكون ذلك وسيلة لتخفيف ازدحام السكان في شبه جزيرة إيطاليا ولاستثمار أراضي جديدة أو فتح أسواق المنتجات الإيطالية وعمل موسوليني على ضم ليبيا بصورة نهائية ، فأصدر مرسوماً ملكياً في ٩ كانون الثاني عام

١٩٣٩ يضم ليبيا إلى إيطاليا « الوطن الأم » ، وبمنح الليبيين بمقتضاه الجنسية الإيطالية . وكان موسوليني قد عين غراسياني قائداً عاماً للقوات الإيطالية في برقة . وقد حاول هذا القائد القضاء على المقاومة الليبية بكل وحشية ، فمنع وصول الامدادات من سكان البلاد المجاهدين ، وقد أقام حاجزاً بين برقة ومصر لمنع وصول المؤن والمساعدات منها كما أقام المحكمة (الطائرة) التي كان أعضاؤها ينتقلون بالطائرة لمحاكمة المجاهدين والمواطنين الذين يعرف أنهم ساعدوا المجاهدين والأبرياء وكانت تقضي عليهم بأحكام تعسفية ظالمة ، وتأخذ بالظنة محاكمة صورية ، وتنفذ الحكم بدقائق معدودة ، كما عطل الزوايا السنوسية وأقفلها وصادر أملاكها ، ونفى شيوخها وأقام معسكرات الاعتقال التي كانت تضم آلاف من المواطنين والمجاهدين وكان يضع معهم عدداً من المواشي دون ماء فكانت تنتشر الأوبئة وتكثر الوفيات .

كان الإيطاليون مجردين من الرحمة يسعون إلى تحقيق هدفهم هذا بكل وسيلة ممكنة وحاربوا بكل سلاح ، فلم يحترموا المرأة ولا دور العبادة ، واستولوا على الأراضي الخصبة الواسعة الواقعة على الساحل وحرموا منها أهلها وطردوهم إلى المناطق الصحراوية الداخلية ونقلوا نصف مليون إيطالي لاستثمار الأراضي الواقعة على الساحل . والخلاصة أنهم كانوا قد اعتزموا تصفية العنصر العربي من البلاد وجعل ليبيا بمرور الزمن أرضاً إيطالية .

الفصل السابع

العمليات العسكرية الإيطالية في حوض البحر المتوسط

١ ـ الموقف قبل نشوب الحرب الثانية :

البحر المتوسط هو حلقة الاتصال بين غرب أوروبا والشرق الأقصى . وظلت بريطانيا طيلة قرن ونصف تجاهد في سبيل الاحتفاظ بسيطرتها على خطوط الملاحة في هذا البحر ، فهو أقصر طريق يربط الجزر البريطانية بالهند والصين وأستراليا ، أما فقدها هذه السيطرة فيضطرها إلى الالتجاء إلى طريق رأس الرجاء الصالح مما يترتب عليه تأخير عظيم في حركة النقل العسكري زمن الحرب . ولذلك سعت بريطانيا قبل نشوب الحرب الثانية إلى تأمين مركزها في هذه المنطقة الحيوية بعقد سلسلة من المعاهدات الدفاعية مع الدول التي تحتل مراكز استراتيجية هامة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط .

بالمقابل كانت نهضة إيطاليا العسكرية ورغبتها في السيطرة على البحر المتوسط أول بادرة أنذرت بالخطر الذي يهدد مركز بريطانيا . وبدأ هذا التهديد بصورة عملية باستيلاء إيطاليا على الحبشة عام ١٩٣٦ ، ثم انضمامها إلى ألمانيا عام

١٩٣٧ في حلف أطلق عليه اسم محور (برلين ـ روما) وازداد الموقف سوءً بتدخل دولتي المحور في الحرب الأهلية الأسبانية تدخلاً إيجابياً وانتصار الجيوش الفاشية فيها ، وبذلك استطاعت دولتا المحور الاستيلاء على مراكز حيوية يمكنها منها السيطرة على البحر المتوسط ، بمهاجمة جبل طارق في الغرب أو مصر في الشرق ، حيث منافذ البحر الرئيسية .

٢ ـ المراكز الاستراتيجية للحلفاء :

لم يكن موقف كل من فرنسا وإنكلترا في حوض المتوسط ضعيفاً ففرنسا تحتل الركن الشمالي الغربي لأفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) كما أن لها قوات عسكرية في سوريا ولبنان . أما بريطانيا فقد كانت لها قوات عسكرية في مصر وفلسطين وشرقي الأردن والسودان ، وكانت مرتبطة بالعراق بمعاهدة دفاعية تخولها حق استخدام بعض المطارات والمرور بقواتها البرية في حالة الحرب .

وإزاء تطور الموقف خلال عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧ بدأت الدولتان الغربيتان بعقد سلسلة من المحالفات الدفاعية مع الدول الواقعة تحت انتدابهما لتدعيم مركزهما في الشرق الأوسط .

٣ ـ الموقف في الشرق الأدنى :

وبتوتر الموقف الدولي عام ١٩٣٨ ، واحتلال إيطاليا لألبانيا في نيسان ١٩٣٩ أبرمت فرنسا وإنكلترا معاهدات مع

دول البلقان بقصد اجتذابها إلى صفهما في الصراع المنتظر . فوعدت إنكلترا كلاً من اليونان ورومانيا بأن تقدما لهما معاونتهما في حالة الاعتداء عليهما . وفي تشرين الأول ١٩٣٩ عقدتا تحالف مع تركيا يقضي بنجدة الدولتين لها إذا هاجمتها ألمانيا أو إيطاليا ، كما نص فيها على أن تقدم تركيا مساعدتها لهما إذا اشتبكتا في صراع في الشرق الأدنى نتيجة وفائهما بتعهداتهما لرومانيا واليونان .

وبذلك أصبحت لفرنسا وإنكلترا السيطرة على شرق وغرب حوض البحر الأبيض المتوسط ، على شرط عدم تدخل أسبانيا في الصراع المنتظر مع دولتي المحور . أما في وسط البحر الأبيض فكان الموقف معقداً جداً . ففي هذه المنطقة تتقاطع خطوط مواصلات الدول الثلاث ـ فرنسا وإنكلترا وإيطاليا ، حيث تواجه قواعدها البحرية بعضها البعض ، فكانت لإيطاليا قواعد على الشاطئين الإفريقي والأوروبي تستطيع منهما تهديد ملاحة فرنسا وإنكلترا بين حوض البحر الأبيض الشرقي والغربي كما كانت لبريطانيا قاعدة في مالطة تعترض طريق الملاحة بين إيطاليا وطرابلس . ولذلك أضحت هذه المنطقة أخطر مناطق البحر الأبيض ، وصار مستقبل الحرب في هذا البحر متوقفاً على السيطرة عليه إلى حد بعيد .

٤ ـ الموقف العسكري في المتوسط غداة سقوط فرنسا :

احتل حوض البحر الأبيض المتوسط ، خلال الحرب

العالمية الثانية ، مركزاً هاماً في الصراع الدولي . فبانتهاء معركة فرنسا توقفت العمليات البرية في أوروبا ، وانتقل مركز الثقل ومحور الاهتمام إلى معركة الشرق الأوسط التي دارت بين بريطانيا وإيطاليا في مبدأ الأمر ، حتى تدخلت ألمانيا فعلياً في المعركة في أوائل عام ١٩٤١ .

وبسقوط فرنسا وخروجها من الحرب أصبح على بريطانيا وحدها أن تواجه الموقف الجديد الخطير . وكانت النتائج المباشرة لذلك هي :

أ ـ إنسحاب الأسطول البريطاني من مالطة وفقده التفوق البحري على إيطاليا الفاشية . ولذلك أغلق البحر المتوسط بالنسبة للبحرية التجارية البريطانية وتحولت سفن النقل إلى طريق رأس الرجاء الصالح .

ب ـ إحراز موسوليني التفوق الجوي في وسط البحر المتوسط وإمكانه الحصول على السيطرة في شرق المتوسط بعد عمليات جوية ضد القواعد البريطانية في مصر ، من جزر رودوس وقواعد برقة ، وفي الوقت نفسه أصبح من المستحيل تعزيز القوة الجوية البريطانية عبر فرنسا ومستعمراتها إلى مصر .

ج ـ أحدث سقوط فرنسا ثغرة واسعة في جبهة القتال البرية ، إذ أصبح بمقدور إيطاليا حشد كل مواردها ضد مصر والسودان والقيام بحركة تطويق واسعة النطاق في ليبيا

والحبشة . وفي نفس الوقت كانت القوات البريطانية في الشرق الأوسط تفتقر إلى زيادة السلاح والمعدات والتدريب .

كان هذا هو الموقف الذي واجه الحلفاء في الشرق الأوسط في منتصف حزيران ١٩٤١ وهو ضرورة مواجهة موسوليني في عدة جبهات متباعدة .

٥ ـ هجوم الجيش العاشر الإيطالي تشرين الثاني ١٩٤٠ :

بدأت العمليات الحربية في جميع الميادين التي تتصل فيها القوات البريطانية والإيطالية اتصالاً مباشراً منذ ١٠ حزيران . ففي شرقي إفريقيا هاجمت القوات الإيطالية الصومال البريطاني وتغلبت بعد قتال قصير على الحامية الوطنية الضعيفة . وفي جبهة السودان ، استولت القوات الإيطالية على كسلا والقلابات وكرموك . وتوقفت العمليات الهجومية بعد ذلك بالرغم من أنه لم يكن هناك ما يمنع استمرار التقدم إلى قلب السودان . أما في جبهة الصحراء الغربية فقد اقتصر نشاط القوات البريطانية والإيطالية خلال الأشهر الثلاثة الأولى على أعمال الاستطلاع تمهيداً للعمليات البرية المنتظرة ، وعلى الهجومات الجوية والبحرية . فقامت البحرية البريطانية بضرب المناطق العسكرية الساحلية داخل برقة ـ فضربت كابوتزو وميناء البردية والقاعدة الجوية في بومبة. كما قام سلاحها الجوي بغارات استكشافية استراتيجية بعيدة المدى ، وأغارت بقاذفات القنابل على خطوط المواصلات الإيطالية

والقواعد والمطارات في برقة وطرابلس وفي نفس الوقت قام السلاح الجوي لموسوليني بضرب السلوم دمرسي مطروح والإسكندرية في مصر وميناء حيفا الفلسطيني حيث أصيبت مستودعات البترول ومعامل التكرير .

وقد اقتصر النشاط البري الإنكليزي على قيام عناصر استطلاع من الفرقة المدرعة البريطانية بدوريات استكشافية عميقة داخل حدود برقة وكان الغرض من هذه العمليات فتح ثغرات متعددة في خط الأسلاك الشائكة الممتدة على طول الحدود لمسافة ٤٠٠ ميل من شاطىء البحر ، والحصول على معلومات عن مدى استعداد القوات الإيطالية ونشاطها في شرقي المتوسط وإرهاق هذه القوات بالإغارة على مراكز حشدها ومناطق تموينها ، ونظراً لاشتداد وطأة العمليات السابقة ، اضطرت القيادة الإيطالية إلى إخلاء حصني كابوتزو ومادالينا .

كانت القيادة البريطانية تدرك مدى تطلعات موسوليني للاستيلاء على مصر لما تمتاز به من موقع استراتيجي هام عند ملتقى القارات الثلاث . ولم يخف النظام الفاشي في روما المطالبة بمشاركته في تسيير العمل في قناة السويس بما يعتبره يخدم مصلحة الجميع ويحسن التعاون الدولي بما يخص العلاقات بين إفريقيا وأوروبا . وتعطي الصحف الإيطالية تبريراً لذلك انطلاقاً من أن روما تحتل المكان الثاني

بين الدول العالمية التي تمر تجارتها في قناة السويس ، ولكنها لا تشترك في إدارتها ، بل تدفع ما قيمته ٢٥٠ مليون لقاء مرور منتوجاتها بينما تنال بريطانيا حصة مهمة من عائدات القناة لقاء تملكها أسهماً فيها .

وفي نفس الوقت كان تأمين مصر ، وهي القاعدة الرئيسية لعمليات الحلفاء في الشرق الأوسط ، الهدف الرئيسي للحلفاء . وكان سقوطها يعني كارثة عظمى لهم ، إذ يؤدي إلى انهيار أول وأهم خط من خطوط دفاعهم عن آبار الزيت في الخليج العربي وعن الهند .

كذلك كانت القيادة الإنكليزية في الشرق الأوسط تدرك مدى الضعف عند قواتها من الناحيةً العددية لو قورنت بالقوات الفاشية الإيطالية ، ولذلك قرر الجنرال ويغل ، القائد العام البريطاني في الشرق الأوسط ، عدم مقاومة الغزو الإيطالي على الحدود ، والإنسحاب شرقاً حتى منطقة مرسي مطروح حيث تقوم القوات البريطانية بهجوم مضاد عام لطرد القوات الإيطالية ، ولذلك حولت مرسي مطروح إلى قاعدة دفاعية رئيسية ، وأعدت لمواجهة أي هجوم إيطالي في السهل الساحلي . فأنشئت المواقع المتعددة المتضمنة الكثير من الدشم المسلحة التي تحوي مدافع الماكينة والمدافع المضادة للدبابات . كما أنشيء حول محيط الدفاع خندق مضاد للدبابات ومانع من الأسلاك الشائكة .

تقدم الجيش العاشر الإيطالي :

أخذت القيادة الإيطالية في ليبيا في حشد قواتها على حدود مصر . وفي نهاية تموز أعادت احتلال كابوتزو لستر عمليات الحشد حتى أصبح لها أربع فرق من المشاة على استعداد للعمل مباشرة ، ومع ذلك لم تقوم قوات موسوليني بأي عمليات استطلاعية واسعة النطاق داخل الحدود المصرية ، بينما تعرضت مناطق حشدها لضربات بحرية وجوية وغارات الدوريات البرية البريطانية .

وفي ١٠ أيلول بدأ الجيش العاشر الإيطالي تقدمه، ووصلت طلائعه إلى الحدود المصرية يوم ١٣ أيلول فعبرت قوة كبيرة تسترها نيران المدفعية حافة الهضبة المطلة على السلوم ، بينما تقدمت قوة أخرى إلى نقب حلفاية وهبطت منه إلى السلوم ، وقاومت القوات البريطانية السائرة هذا التقدم ، فدمرت وحدات المهندسين النقب والطريق في عدة نقاط ، وزرعت على الطريق ألغاماً مضادة للدبابات كما أفسدت مياه الآبار في هذه المنطقة ، وفي نفس الوقت أخذت القوة السائرة في الانسحاب شرقاً وهي على اتصال بالقوات الإيطالية محاولة تعطيلها كلما أمكن ، حتى وصلت يوم ١٦ أيلول إلى شرقي سيدي براني .

واصلت القوات الإيطالية تقدمها في السهل الساحلي فقط ، وكانت فرقتان من المشاة تقودان التقدم تعززهما عناصر

من وحدات الدبـابات وتبعتهمـا فرقتـا مشاة ، بينمـا احتفظت القيادة العليا الإيطالية بفرقة مشاة خامسة ومجموعة مدرعة في الاحتياط ، واستمر هذا التقدم حتى وصلت طلائع هذه القوات إلى مسافة ١٥ ميلاً شرق سيدي براني حيث توقف التقدم يوم ١٨ أيلول لإعادة التنظيم .

في ٢١ أيلول أصدر الجنرال الإنكليزي ويغل إلى قائد قوات الصحراء الغربية تعليمات بأن يكون على استعداد للقيام بالهجوم المضـاد العام بمجـرد وصول القـوات الإيطاليـة إلى مرسي مطروح وتتصل بدفاعاتهـا . وفعلاً بـدأ الجنرال ويلسن (قائد القوات البريطانية في مصـر) والجنرال أوكـونور (قـائد القوات الصحراوية الغربية) في اتخاذ التدابير اللازمة للضربـة المضادة .

بمجرد وصول القوات الإيطالية منطقـة سيدني بـراني ، أخذت القيادة الإيطالية في العمل لتحويـل سيدني بـراني إلى قاعدة أمامية إداريـة . فبدأت بتمهيـد الطريق من السلوم حتى سيدي براني، ومدت خط أنابيب للمياه من فيرين ومن برقة إلى سيـدي براني ، كمـا كدست كميـات كبيـرة من المؤن بهـا ، وفسرت القيادة البريطانية هذه الاستعـدادات على أنها تمهيـد لمواصلة التقدم شرقاً ، ولكن الأسـابيع مـرت دون أن تتحرك القوات الإيطالية ، واتضح للقيادة البريـطانية أنـه ليس في نية الإيطاليين مواصلة التقدم بسرعة ، إذ أبانت التقارير أن القوات

الإيطالية أخذت تستقر في خطوط دفاعية قوية ، وبذا سلمت القيادة الإيطالية ميزة المبادأة نهائياً إلى البريطانيين . وعلاوة على ذلك فلم تكن الدفاعات الإيطالية قوية ، ولم يكن المانع المضاد للدبابات الذي يحيط بكل معسكر بعمق كاف . ولقد أهمل الإيطاليون تقوية الدفاع عن المعسكرات من اتجاه الغرب والشمال ، إذ كانوا يتوقعون أن يوجه أي هجوم ضدها من الشرق أو الجنوب فقط . وكانت القيادة البريطانية سريعة جداً في تقدير أوجه الضعف السابقة والعمل على استغلالها في هجومها المضاد القادم .

تقهقر الجيش الإيطالي في إفريقيا :

في أوائل كانون الأول ١٩٤٠ حدثت معركة سيدي براني في ثلاث مراحل بين الإيطاليين والبريطانيين وكانت نتيجتها تدمير القسم الأكبر من ست فرق إيطالية .

المرحلة الأولى : وتضمنت تحرك قوة الصحراء الغربية من مناطق حشدها شرقي مرسي مطروح إلى منطقة تجمع أمامية داخل مدى الضرب من المواقع الإيطالية .

المرحلة الثانية : وتضمنت الهجوم على المعسكرات وانهيار خط الدفاع الإيطالي من المقتلة إلى نيبو .

المرحلة الثالثة : وتضمنت مطاردة الفلول الإيطالية إلى الحدود المصرية بالفرقة المدرعة .

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤١ تابعت بريطانيا انتصاراته

على القوات الفيشية الإيطالية واستولت على طبرق والقاعدة البحرية الإيطالية الرئيسية في برقة . وما وافى شهر آذار سنة ١٩٤١ حتى كان الإيطاليون قد طردوا من ولاية برقة ، وبلغ البريطانيون بلدة العقيلة ، وبمجرد انتهاء المعركة تم القضاء على الجيش العاشر الإيطالي ، وأسر ١٣٣ ألف جندي إيطالي وعدد كبير من المدافع والدبابات والعربات .

بعثت الانتصارات الكبيرة التي أحرزها الجنرال ويغل ، القائد الأعلى للقوات البريطانية بالشرق الأدنى ، بعض الثقة في نفوس البريطانيين . وراح يستعد لطرد قوات موسوليني من كل إفريقيا . لكن قرار هتلر بالتدخل في شمال إفريقيا ، أجل التقهقر السريع للقوات الإيطالية ، وحتى لا يحدث انهيار آخر للإيطاليين مثلما حدث لهم في اليونان عندما اتضح له ضعف القوات الإيطالية وانهيار روحها المعنوية واحتمال ضياع طرابلس . ولذلك تحركت بعض التشكيلات الألمانية إلى إيطاليا وصقلية ووصلت بعض عناصرها المدرعة إلى طرابلس في أوائل شباط ١٩٤١ . ولم تصل سوى تقارير غامضة إلى قيادة الشرق الأوسط البريطانية عن هذه التحركات الألمانية نظراً لقلة عملائها في طرابلس الغرب وإيطاليا ولافتقارها إلى الطائرات البعيدة المدى اللازمة لأعمال الاستطلاع الاستراتيجي . وبذلك لم تستطع قيادة الشرق الأوسط تحديد تشكيلة الفيلق الألماني في شمال إفريقيا أو موعد ضربته المنتظرة .

الفصل الثامن

سقوط موسوليني

أدى تصدي الجيش الأحمر السوفياتي للهجمات الألمانية ووقف تقدمها إلى قلق بالغ على نتائج الحرب الثانية عند موسوليني . وما عزز هذا القلق النكسات العسكرية التي منيت بها قواته في شمالي إفريقيا . في ٩ آذار ١٩٤٣ ، فإن موسوليني الذي أخذ الوضع بعين الاعتبار ، بعث إلى هتلر برسالة اقترح فيها عقد صلح مع الاتحاد السوفياتي ، وتقدم الفاتيكان باقتراح مماثل . وفي ٢٥ آذار ١٩٤٣ قال موسوليني إن الحرب ضد روسيا السوفياتية كان حرباً ميئوساً منها « حتى ولو دخل اليابانيون الحرب » .

لم يأخذ هتلر بملاحظة موسوليني بعين الاعتبار . ولكن الدوتشي رأى لو أن إيطاليا نجحت في الخروج من الحرب في ذلك الوقت فلم يكن بوسع أية قوة أن تمنع تطور حركة شعبية في هذه البلاد تعمل للقضاء على الديكتاتورية الفاشية . وبالفعل ظهر في عام ١٩٤٣ الفصائل الأولى للأنصار في إيطاليا : في بييمون ، ولومبارديا ، وإيميلي ، لإسقاط نظام موسوليني . وشكل في فريولي تحت قيادة ماريو فانتيني فوج

غاريبالـدي الأول الذي كـان يضم في خريف ١٩٤٣ ، ٥٠٠ رجل . وقد امتدت حركة الأعضاء إلى كل الأراضي الإيطالية المحتلة من قبل الهتلريين وتطورت بقوة كبيرة في الشمال . في ٥ أيار قام الحلفاء بهجمة شديدة أنهت القتال في ميدان شمال إفريقيا . فدخلت الكتائب الأميـركية بيـزرتة ، ودخـل الجيش البريطاني الأول تونس في ٧ أيار . ولـم يمض أسبوع بعد ذلك حتى استسلمت جميـع قـوات المحـور في ذلـك الميـدان لأعدائها . وقد بلغ عدد الأسرى منها نحـو ربع مليـون جندي كانوا يؤلفون بعضاً من خيرة الفرق الألمانية الإيطالية . وتمكن رومل من الفرار جواً مع عدد قليل من كبار معاونيه إلى ألمانيا .

وكـان من أهم نتائـج النصر الكبيـر الذي أوتي لقـوات الحلفـاء انهيـار روح الإيـطاليين المعنـويـة ، وقعـوسهم عن القتال ، ونشاط المتآمرين على مـوسوليني للقضـاء على نظام حكمه . وعمل الحلفاء على تطهير البحر الأبيض المتوسط من قوات العدو البحرية حتى يمكن لهم إعادة استخدامه في نقل مقاتليهم ومهماتهم . فهجموا في أوائل يونيو سنة ١٩٤٣ على جزريتي بنتلاريا ولمبيدوسـا الحصينتين واستولـوا عليهما ، ثم نزلوا بصقلية ، وما اختتم شهـر آب حتى كانت تلك الجـزيرة بأكملها قد وقعت في أيديهم .

وكان موسوليني قد استقال من منصبه في ٢٥ تموز . ثم ألقي القبض عليه وسجن في معتقل خاص . وخلفه في رئاسة

الحكومة المارشال بادوليو، فشرع على الفور في فتح مفاوضات سرية لعقد هدنة بين بلاده والحلفاء . وقد وُقعت هذه الهدنة في ٣ كانون الأول ، وكان من أهم شروطها استسلام الإيطاليين بدون قيد أو شرط ، وتوقف قواتهم البرية عن القتال ، وتسليمهم أسطولهما البحري والجوي إلى الحلفاء ، وضمانهم استخدام الحلفاء لجميع الموانىء والمطارات الإيطالية .

وما علم الألمان بخبر هذه الهدنة حتى احتلوا روما في ١٠ كانون الأول وسيطروا على جميع مرافق البلاد ، ولا سيما في الشمال . ففر المارشال بادوليو ورجال حكومته إلى مراكز الحلفاء ، وأعلنوا الحرب على ألمانيا ، وعادت إيطاليا دولة محاربة في صفوف الحلفاء . ونزل البريطانيون بجنوب إيطاليا في أيلول ١٩٤٣ ، ونزل الأميركيون في سالرنو جنوب نابولي في ٩ أيلول . فركز الألمان قواتهم في قطاع سالرنو . وزحفت وحدات من الجيش الثامن البريطاني ، واستولت على مدن تارنتو وبرنديزي وباري ، واتصل البريطانيون بالأميركيين ، وأقاموا معاً بهجمات صادقة طردت الألمان من سالرنو . وسقطت نابولي في أول تشرين الأول في أيدي الأميركيين . فتراجع الألمان للاحتماء بخط دفاع أقاموه عند نهر الفلتورنو . ولكن الأميركيون تمكنوا في منتصف تشرين الأول من عبور النهر ، ودفعوا الألمان أمامهم إلى ما وراء نهر الجارليانو . في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٤ عبرت قوات الحلفاء نهر الجارليانو ،

وأنزلوا بعد ذلك بيومين بعض كتائبهم في انزيوكي ليقطعوا على مؤخرة الألمان خط الرجعة . ولكن استطاع المارشال كسلرنج القائد الأعلى للجيوش الألمانية بإيطاليا أن يوقف تقدم الحلفاء قرابة أربعة أشهر في الإقليم الجبلي القريب من كاسينو . إذ لم تتمكن جيوش الحلفاء من إقصاء غريمها من مواقعه المنيعة إلا في أيار ، حينما أكرهته على التقهقر العاجل صوب الشمال . وسقطت روما في أيدي الجيش الخامس الأمريكي في ٤ حزيران ، أي قبل يومين من نزول الحلفاء نورمنديا بشمال فرنسا .

ومن ثم أخذ يترامى بإطراد سقوط البنادر والمدن الإيطالية في قبضة الحلفاء . فسقطت لجهورن في تموز وفلورنسا في ١١ آب وبيزا في أول أيلول ، وريمني في الثاني والعشرين منه ، ورافنا في أوائل كانون الأول . وأوقف سوء الأحوال الجوية وزمهرير الشتاء زحف الحلفاء البطيء ـ ولكنه الزحف المطرد ـ خلال شهور الشتاء . ولكنهم بدأوا في العاشر من نيسان سنة ١٩٤٥ المرحلة الأخيرة من الحرب في إيطاليا ، فهاجموا الألمان من كلا جانبي شبه الجزيرة فسقطت بولونا ، ثم جنوى ، وعلى الأثر انهارت دفعة واحدة قوى الألمان . وأخذوا يستسلمون في أعداد كبيرة . فأرسل كسلرنج مندوبين عنه كي يفاوضوا الحلفاء في شروطهم ، وقد وقعوها في ٩ نيسان . وبمقتضاها سلم الألمان أنفسهم، وألقوا بأسلحتهم

دون قيد أو شرط ، وتوقفوا عن القتال في الثاني من أيار ١٩٤٤ .

وكان الألمان قد عرفوا مكان موسوليني فبعثوا جواً بسرية من الجنود الفدائيين أنقذته من سجنه . وألّف موسوليني حكومة إيطالية مناصرة لهم . وعند انحسار قوتهم ، اضطر إلى التقهقر معهم . وأخيراً تمكنت إحدى كتائب المقاومة الإيطالية من إلقاء القبض عليه في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٥ مع نفر من أنصاره الفاشستيين في بلدة دنجو على بحيرة كومو ، حيث أجريت محاكمة صورية وحكم قضاتها عليه بالإعدام. فأعدم هو وبعض رفاقه رمياً بالرصاص . وعلقت جثثهم في بعض ميادين كومو وميلان المقر القديم لرياسة الحزب الفاشستي .

كان لسقوط نظام موسوليني المبكر في الحرب الثانية وتشكيل حكومة منفى إيطالية مؤيدة للحلفاء قد أنقذ إيطاليا من خطر التقسيم ومن تحميلها أعباء مالية لصالح دول الحلفاء . فقد أعلنت حكومة المنفى الحرب على هتلر في ٨ أيلول ١٩٤٣ على أثر انهيار الحكومة الفاشستية فيها لذلك اعتبر الحلفاء إيطاليا دولة محاربة في صفهم ، وأعلن أقطابهم في مؤتمر بتسدام أنه ينبغي إبرام صلح عادل معها . وعهدوا بهذه المهمة إلى مجلس وزراء الخارجية .

ولقد عقد هذا المجلس مرات عدة في أوقات مختلفة ، ودارت فيه مناقشات طويلة بشأن الشروط التي يجب أن تفرض

على إيطاليا . وأخيراً وقعت معاهدة الصلح في ١٠ شباط سنة ١٩٤٧ من مندوبي إيطاليا والدول الإحدى والعشرين التي كانت قد اشتركت في الحرب ضدها . وبمقتضى هذه المعاهدة ، أعيدت حدود إيطاليا إلى ما كانت عليه في أول كانون الثاني سنة ١٩٣٨ ، مع إجراء بعض تعديلات فيها لصالح فرنسا ويوغوسلافيا . وتنازلت إيطاليا لليونان عن جزر الدوديكانيز مع تجريد هذه الجزر من السلاح . واعترفت إيطاليا بكل من الحبشة وألبانيا دولة مستقلة ، وتنازلت عن مستعمراتها السابقة : ليبيا وارتيريا والصومال . وجعلت تريستا والمنطقة المجاورة لها منطقة حرة مستقلة تحت هيئة الأمم المتحدة .

وقد قررت الجمعية العمومية لهيئة الأمم في تشرين الثاني ١٩٤٩ أن ينادي بلبيا دولة مستقلة في موعد لا يتجاوز أول كانون الثاني ١٩٥٢ على أن يحكمها في الفترة التي تكون فيها تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة ـ يحكمها مندوب تعينه الهيئة يعاونه مجلس استشاري . وقد أعلنت ليبيا دولة مستقلة سنة ١٩٥١ ، ونودي بالملك إدريس السنوسي الأول ملكاً عليها .

وقررت أيضاً الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة أن تمنح الصومال استقلالها في عام ١٩٦٠ ، على أن تبقى تلك البلاد في غضون هذه الفترة تحت وصاية إيطاليا . وقد ضمت

ارتريا سنة ١٩٥٢ إلى مملكة الحبشة ، على أن يؤلف القطران دولة تعاهدية يتسلم عرشها المشترك إمبراطور الحبشة .

والملاحظ خلال الحرب العالمية الثانية أن دول المحور (إيطاليا وألمانيا واليابان) لم تتمكن من أن تحقق فيما بينها اتحاداً حقيقياً في الأهداف السياسية أو توحيداً للخطط الحربية ، أو اشتراكاً في إنتاج الأسلحة ، أو تبادلاً اللأسرار العلمية . وكانت إيطاليا بالوعة استنزفت جانباً كبيراً من قوة حليفتها ألمانيا . وقاتلت اليابان في ميادينها الخاصة ، لتحقيق مصالحها الخاصة ، دون أن تحفل بالمصالح الألمانية . مثال ذلك ، كان الهجوم الياباني على ميناء بيرل مخالفاً لرغبات هتلر والقيادة العليا الألمانية اللذين كانا يرومان أن نترك اليابان أمريكا جانباً ، ولو إلى حين ، وأن تنقض على روسيا في ميادين الشرق . ولم تكن حتى خطوط الجيش الياباني متناسقة مع خطط الأسطول الياباني . ولم يكن لدول المحور هيئة أركان عليا موحدة توفق بين أعمال جيوشها المتعددة في ساحات القتال والغارات على أوروبا وإفريقيا وآسيا .

خاتمــة

الكتابة عن موسوليني وحركته الفاشية مرتبط إلى حد كبير بما ترتب من نتائج في الحرب العالميـة الأولى . مع أن هـذه الحرب انتهت نجد في كل سنة تمر ، بل وفي كل شهر يجـر في أذياله اعتداء جديد ، و بمعنى آخر رامية العالم في أحضان المنازعات .

انتهت الحرب الأولى ونتج عنها معاهدة فرسـاي وميثاق عصبة الأمم . ولكن المشاكل القديمة لم تحل بل زادت عليها مشاكل جديدة مثل التعويضـات وديون الحـرب ونزع السـلاح والأمن الجمـاعي والأزمة الإقتصـادية والبـطالة المنتشـرة على نطاق واسع . وبالإضافة إلى مشاكـل السلام تـوجد المشـاكل الإجتماعية الهامة التي أخلت بتوازن العالم .

الأنظمة الـرأسماليـة التي تسلمت السلطة بعد الحـرب العالمية الأولى شجعت الاقتصاد الوطني ، وإنماء الاحتكارات الضخمـة ، كما أصبحت تلجـأ إلى العنف والشـدة ولم تعـد تحتمل أي شيء حتى الديمقراطية البرلمانيـة في وجه القـوى

الجماهيرية المطالبة بالعدالة الإجتماعية وتأمين فرص العمل .

إيطاليا بعد الحرب الأولى ساءت الأحوال فيها أكثر مما ساءت في أكثر البلدان في أوروبا الغربية . وبدأ النظام الإقتصادي يتداعى أنصار الاشتراكية في تزايد مستمر . عندها أخذ أصحاب المصانع والاحتكارات في إيطاليا يفكرون في خطة للانتقام . ولتحطيم الحركة العمالية والحزب الاشتراكي . وكان أول من فكروا بالاستعانة بهم جماعة المغامرين . تألفت سنة ١٩١٩ من الجنود المسرحين بقيادة موسوليني ودُعيت الفرق الفاشية، وهدفها انتهاز كل فرصة لمهاجمة الاشتراكيين ومؤسساتهم . وأخذ كبار الرأسماليين وأبناء الطبقة البورجوازية الكبيرة يمولون هذه الفرق الفاشية ويحاولون استخدامها في مقاومة الاشتراكية .

هكذا كان ظهور موسوليني وحركته الفاشية بكل قوتها ووحشيتها واتخذت الحرب هدفاً لها . هذه الفاشية التي ترجعنا في كثير من النواحي إلى القرون الوسطى، إنها تمجد الجنس وتستبدل الملك الأوتقراطي الإلهي بحكم زعيم يجمع بين يديه كل السلطات . كان نمو الفاشية ومهاجمتها لكل مبدأ من المبادىء الديمقراطية وطريقة فهمها للحرية والمدنية قد جعلت من الدفاع عن الديمقراطية مهمة شاقة وصعبة .

الواضح أن فكرة الديمقراطية لا بد أن تتوسع وتمتد ولهذا خافتها العناصر الرجعية في إيطاليا، ومع أن هذه

العناصر تتظاهر بحبها للديمقراطية إلا أنها في الـواقع تعـطف كل العطف على الفاشية . فسياسة موسوليني وحركته الفـاشية واضحة غير مبهمة ولا يوجد أي شك في أهدافها. ولكن الـذي يدهش هو السياسة التي انتهجتها بعض الدول الديمقراطية وعلى الأخص بريطانيا آنذاك التي شجعت الفاشية والنازية مع علمها بـأن ذلك سيكلفهـا غاليـاً . كل ذلـك خوفـاً من تنامي التيـار الاشتراكي آنذاك . فقد سير موسوليني جيوشه إلى الحبشة عام ١٩٣٥ في نفس الوقت التي كانت عصبة الأمم مجتمعة وبعدما اطمأن إلى قبول بريطانيا وفرنسـا بذلـك . وبعدهـا اتفق وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا على إعطاء قسم كبير من الحبشـة لإيطاليـا . مـا يستنتـج أن الفـاشيـة ولـدت من رحم الرأسمالية بقصد قهر إرادة شعوبها والتوسع خارج الحدود على أساس العرق والإدعاء بالحق التاريخي .

مصادر باللغة العربية

١ ـ إسماعيل محمد حافظ ـ عبد القادر محمد فريد ـ حسين محمد صلاح الدين : الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ في البحر المتوسط القاهرة ١٩٢٥ .

٢ ـ السباعي بدر الدين : أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠ ـ ١٩٥٨ دار الجماهير دمشق سنة ١٩٦٧ .

٣ ـ العرفي محمد سعيد : هتلر والعرب المسلمون دمشق بدون تاريخ للنشر .

٤ ـ المحافظة علي : موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ بيروت ١٩٨٥ منشورات مؤسسة دراسات الوحدة العربية .

٥ ـ العقاد عباس محمود : الحرب العالمية الثانية دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٠ .

٦ ـ الحلبي محمد محفوظ الكردي : الفاشيزم أو النهضة الإيطالية دار النهضة العربية سنة ١٩٢٦ .

٧ ـ سليمان نوار ونعنعي عبد المجيد : التاريخ المعاصر ـ أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية دار

النهضة العربية بيروت ١٩٧٣ .
٨ ـ فيشر هـ . أل . تاريخ أوروبا في العصر الحديث تعريب نجيب هاشم ووديع الضبع الطبعة السابعة دار المعارف مصر .
٩ ـ صايغ أنيس : الهاشميون والقضية الفلسطينية ـ المطبعة العصرية صيدا ١٩٦٦ .
١٠ ـ ديبورين ـ غ ـ الحرب العالمية الثانية الجزء الأول سوريا بدون تاريخ للنشر .
١١ ـ قدورة زاهية : تاريخ العرب الحديث ـ دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٩ .
١٢ ـ لوكازر هيرزوير : ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي . ترجمة أحمد عبد الكريم مصطفى . دار المعارف مصر ١٩٦٨ .
١٣ ـ نهرو جواهر لال : لمحات من تاريخ العالم . نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين . منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع بيروت الطبعة الثانية ١٩٥٧ .
١٤ ـ شعيب علي : النشاط السياسي لدول المحور في المشرق العربي مجلة الطريق حزيران ١٩٩٠ العدد ٢ و٣ .

مصادر باللغة الأجنبية

1 - L. Bouvat: Oriente moderno, Revue du monde musulman tome 21 - 27 année 1921 Paris.
2 - R. Davos: L'agitation des fasistes dans le proche-orient. Revue internationale communiste XVII N°6 1939.
3 - Foreign office document 21915 année 1939.
4 - Foreign office document 20849 le 6 Avril 1937.
5 - Homet marcel: L'histoire secrete du traité franco-syrien Paris 1938.
6 - Miege - Lon - Louis: L'imperialisme colonial italien de 1870 à nos jours Paris 1968.
7 - Revue asie française Mars 1938 Paris.
8 - Revue Afrique française decembre 1930 Paris.
9 - Revue la nation arabe Geneve 1931.
10 - Vaussard - Mourice: Histoire de l'Italie moderne de l'Unité au liberalisme Paris 1977.

محتويات البحث

سلسلة أحداث ومشاهير عالمية

تتناول هذه السلسلة سير شخصيات عالمية ، من علماء وقادة ، اقترنت أسماؤها بأحداث هامة كان لها أكبر الأثر في مجرى تاريخ البشرية على مرّ العصور .

- حمورابي
- أخناتون
- الإسكندر المقدوني
- هنيبعل
- يوليوس قيصر
- هرقل
- بطرس الأكبر (قيصر روسيا)
- نابوليون بونابرت
- بسمارك
- غاريبلدي
- كريستوف كولومبوس
- ابراهام لنكولن
- جورج واشنطن
- هتلر
- تشرشل
- موسوليني
- رومل
- مونتغمري
- ألفرد نوبل
- إديسون
- غاندي
- جواهر لال نهرو
- شارل ديغول
- أتاتورك

دار الفكر اللبناني